بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

مقدمة

بين يديك أيها القارئ، الجزء الخامس عشر من سلسلة «رجال عرفتهم» وقد تعرضت فيه للحديث عن خمسة عشر شخصية، ربما كان الرابط بينها، هو إخلاصها لوطنها، وعملها لصالحه، حسب موقعها الذي كانت فيه.

لقد كان الدافع لي للتعريف بالشخصيات التي عرفت بها ـ وإن كان التعريف غير كامل ـ هو أنني لاحظت أن الكثيرين من الذين قدموا لبلادهم خدمة من الخدمات في مجالات مختلفة، تنسى خدماتهم، ولربما عندما يموتون لا يبقى لهم ذكر لدى الأجيال التي تأتي بعدهم، مع أن الخدمات التي خدموها، تستحق التسجيل، وتبقى شاهداً واقعا على أعمالهم خلال التاريخ، يشهد لهم بالوفاء لبلادهم ووطنهم ولقيمهم وحضارتهم.

إن الأحداث التي وقعت في التاريخ المغربي، يجب التعريف بها، سواء أكانت إيجابية أو سلبية، لتأخذ الأجيال العبرة منها، فتستمر في الصالح، وتبتعد عن الطالح.

إن المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944، حدث هام في تاريخ المغرب، ويعتبر من المحطات التاريخية التي خلقت وضعا جديدا في المغرب، وذكرت الشعب المغربي بأن آفة الاستعمار التي حلت به، وحاولت أن تنسيه حقيقته التاريخية، وذاتيته التي عاشها القرون الماضية، منذ عهد المولى إدريس الأول، إلى عهد السلطان عبد الحفيظ، والتي رغم ما كانت تمر به من نكسات وتقلبات، كانت تمثل العزة، والكرامة، وعدم التبعية للغير، ورفض كل استعمار أجنبي.

إن وثيقة المطالبة بالاستقلال، ستبقى دائما حجة ناطقة على أن طائفة من الشعب المغربي، صممت على أن تمحو مذلة الاستعمار، وتمحو عار الاحتلال، وأن الظروف التي كان يعيشها العالم إذ ذاك، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتحرك كثير من الشعوب للمطالبة بحريتها، وإقرار الحلفاء في مؤتمر الحلف الأطلسي المشهور، بأن عهد الاستعمار قد ولى، وأن الوقت حان للتعامل مع الشعوب الضعيفة، لا يمكن أن يبقي تعامل الغالب للمغلوب.

إن الظروف تبدلت، وأنه إذا ما بقيت بعض الدول الاستعمارية مصممة على فرض سيطرتها على الشعوب التي استعمرتها ومنها فرنسا، فإن المغرب لابد أن يقاوم هذه النزعة الاستعمارية، ولابد أن يعمل على تحريره من قبضة الاستعمار الأجنبي، وهكذا تقدمت فئة من المخلصين لبلادهم، بالمطالبة بالاستقلال، رغم ما يتعرضون له من محن، وعذاب، وسجن،

وإبعاد، وموت، واستشهاد، مؤمنين بأن الحرية تنتزع ولا تعطى، وأن لا حياة مع الاستعمار، ولا كرامة مع فضاء الاحتلال.

هذه الطائفة التي رفضت الوجود الاستعماري، لابد أن تسجل في التاريخ، ولابد أن تتعرف عليها الأجيال التي أتت بعدها، لتعيش عيشة الحرية والاستقلال، ومن جهة أخرى، فإن كثيرا من الشخصيات برزت في المجتمع، كان لها تأثير إيقاظ الوعي الوطني، والنهوض الفكري، والتغيير المجتمعي.

ومن جهة أخرى، لقد برزت طائفة من الشباب، ارتوت بأفكار نهضوية، وتعرفت على نهضات الشعوب المتقدمة، فصارت تدعو إلى تغيير الأفكار، والسير في التطور الذي صارت فيه الشعوب المتحضرة، عن طريق الكتابة في الصحف، وتنظيم اجتماعات، وإلقاء محاضرات ثقافية وعلمية، كان لها تأثير في إيقاظ الأفكار، والسير في طريق النهوض.

ويضاف إلى ما ذكر، أن الأحداث التي وقعت إثر صدور الظهير البربري سنة 1930، الذي كان يرمي أساسا إلى تفريق الشعب المغربي، وخلق تطاحن بين عربه وأمازيغيه، والسير به في طريق التبعية لفرنسا، عن طريق التحاكم للمحاكم الفرنسية، وإبدال القوانين الإسلامية التي كان يتحاكم إليها، بالقوانين الفرنسية، أو العرفية التي تخالف الشرع الإسلامي في الصميم.

كان صدور ذلك الظهير، منبها إلى ما يريده الاستعمار، من قطع لأوصال المغرب، وخلق تطاحن بين طبقات شعبه، فقام الشعب المغرب قومة رجل واحد، يرفض الرفض القاطع

للمخططات الفرنسية، فوقعت هزة في الضمير الوطني، وبرزت طائفة من الشباب، تزعمت حركة الرفض والاحتجاج. وتعرضت هي بدورها للسجن والإبعاد، من أجل أن يبقى الشعب المغربي موحدا في إنسيته، وعقيدته، وانتمائه، وثقافته، وتوجهاته. فحملوا أنفسهم مسؤولية الدفاع عن الوحدة، وعن العقيدة، وعن الارتباط بالماضي المجيد. وهؤلاء الذين حملوا أنفسهم هذه المسؤولية، لابد أن تتعرف الأجيال على هؤلاء الغيورين الأشداء، ولابد أن تعرف بهم، حتى يبقون أمثلة صالحة للدفاع عن وحدتنا، وعقيدتنا، وحضارتنا. ولابد أن نثني عليهم، وندعو لهم.

هذا الهاجس، هو الذي دفعني للتعريف بهؤلاء الصادقين، الذين رفعوا المشعل في وقت الظلمة، ورفعوا راية الحرية، وقت جبروت الاستعمار.

ست وستون شخصية وطنية، ليست متساوية في سنيها، ولا في ثقافتها، وليست منحدرة من مدينة واحدة، ولا من قبيلة واحدة، ولا من قرية واحدة، ولكن جمعها وربط بعضها ببعض، إيمان صادق بوطنها، ومحبة كامنة في قلبها، وتعلق وافر بكرامتها، لم تستسغ الذلة والحماية الأجنبية لوطنها، ولم ترض أن تبقى الراية الأجنبية هي التي ترفرف فوق إدارتها وفي طرقها، ولم تقبل أن يكون الأجانب هم المتحكمين فيها، فقررت رفض الحماية والاستعمار، وطالبت جهرة وعلنا بالاستقلال، متحدية القوى الاستعمارية، رغم جبروتها وطغيانها، رافعة صوت شعبها، الذي ما رءاها ترفع الصوت الحق، وتنشد العزة والكرامة

والحرية، حتى أيدها، ووقف بجانبها، مؤكدا أن زمان الحجر والاستبداد قد ولى، وأن التبعية والاندماج في المستعمر غير مقبولة، وأن المطلب الوحيد هو تحقيق الاستقلال.

ويضاف إلى هؤلاء الستة والستين الذي وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال، ست وخمسون شخصية ترجمت لهم وعرفت بهم في سلسلة (رجال عرفتهم) ويزاد عليهم ما ترجمت لهم في هذا الجزء الخامس عشر، وهم خمسة عشر شخصية، فيكون مجموع من ترجمت لهم وعرفت بهم مائة وثماني وثلاثين شخصية.

لقد رأيت من واجبي وقد تعرفت إلى هؤلاء الإخوة الذين عرفت بهم، ولو كان تعريفا غير كامل، إذا لم يعرف بهم، و لم يكتب عنهم، سينسون وهم يستحقون الثناء والذكر الجميل، والدعاء لهم بالرحمة، جزاء ما قدموه لبلادهم من معروف، وما بذلوا من تضحيات، في سبيل الدفعاع عن وحدة بلادهم، ووقوفهم ضد سياسة (فرق تسد).

لقد كتب الأجانب عن تاريخنا كتابات متعددة، فيها المنصف، وفيها المغرض، ولقد كان في تاريخنا رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فتنبهوا لما أصاب بلادهم من نكبات، جرَّاءَ تآمر الاستعمار قبل الحماية وبعدها، و لم يتعرف بهم، ولم تذكر أسماؤهم إلا قليلا، ولدى القليلين من الباحثين، فهل سنسير نحو السابقين في نسيان ذاكرتنا، وعدم الوفاء لرجالنا المخلصين ؟ ذلك ما يجب علينا أن لا ننساه.

وبعد، فهذا هو الجزء الخامس عشر من رجال عرفتهم، تعرضت فيه للتعريف بخمسة عشر شخصية، كانت تربطني ببعضهم روابط وثيقة، وتعاون في مجال خدمة وطننا العزيز، وجمعني مع بعضهم التقدير لتضحيتهم وإخلاصهم، والعمل لصالح أمتهم وعقيدتهم، والله سبحانه يثبت أقدامنا على الحق واليقين، ويهدينا إلى سواء السبيل وهو سبحانه نعم المولى ونعم الوكيل.

شاطئ تمارة في 24 جمادى الثانية 1427
الموافق لـ 18 يوليوز 2006

أبو بكر القادري

محمد الخامس، حبيب الله

تعددت الكتابات عن الملك الصالح، المصلح، سيدي محمد الخامس، نور الله ضريحه، وتنوعت، فكل واحد جذبته شخصية هذا الملك، في جانب من جوانبها، فتحدث عنها. وكل واحد تطلع إلى أن يبرز للعموم، ملامح هذه الشخصية التي تعددت ملامحها، وتنوعت عطاءاتها، وأعطت الدليل على علو شأنها، وصدق إخلاصها، وصوفية جهادها.

لقد تعددت الكتابات عن الملوك في مختلف الأعصار، وتحدث المؤرخون عن أعمالهم وأخلاقهم ومواهبهم، ولكن الأحاديث عن شخصية محمد الخامس، كانت من التنوع والتجديد، ما تختلف عما كُتب عن السابقين.

فلننظر إلى ما كتبه بيير جولى، وزير الشؤون المغربية والتونسية في الحكومة الفرنسية، وهو يحلل شخصية محمد الخامس، قال (في البداية تسلى بالملكية، كما لو كان لايزال طفلا، سعيداً باكتشاف أبّهتها، لكن سرعان ما سئم من الحفلات والمظاهر، وبدأ ينزعج منها، إنه يتطلع لشيء آخر، لماذا ؟ ـ إنه يبحث في الصباح عندما تطلع الشمس، يخرج من قصره، ويتيه في الأحياء الفقيرة، ومدن الصفيح، فيكتشف مظاهر البؤس، ومن

ثم يفقد بالمرّة راحة البال، ويصير كئيباً، شديد الإنفعال، ينفجر غضباً لأدنى سبب، لذا كان المقيمون العامون، حذرين جداً منه، ويلقبونه بالمزاجي الذي يصعب توقع رد فعله).

تعابير من لدن بيير جولى تؤكد بوضوح وبيان، أن محمداً الخامس رحمه الله، لم ينظر إلى الملك الذي تولاه، والعرش الذي جلس عليه، لم ينظر إليه نظرة الأبّهة والفخار، والغرور والاستكبار، ولكنه ينظر إليه نظرة المسؤول الأمين، الذي تحمل الأمانة الكبرى لقيادة شعبه، والنظر في مصالحه، والصعود به في مجال السعادة والهناء، ولعله أدرك وهو لازال لم يتخط العشرين من عمره، أن المسؤولية التي تحمل، تنوء بحملها الجبال، وأن ما يعانيه شعبه من متاعب الفقر والبؤس والهوان، لابد له من العمل على القضاء عليها، رغم المتاعب والصعوبات التي ستعترض طريقه، خصوصاً مع فقدان الأعوان الصادقين، والمساعدين الأوفياء المتقين.

لقد تولى مسؤولية الملك، وهو لازال في سن الثمانية عشرة من عمره، وهو عمر التشوف والاندفاع إلى الخير إن وفق الله، ولعله تساءل مع نفسه، لماذا اختاروه وقدموه على أخويه الأكبرين منه، ولعله أُلهم منذ ذلك الحين، أن مسؤوليته فخمة، وأن عليه أداءها بإخلاص وصدق ويقين، فكان أول خطاب يلقيه غداة مبايعته يقول فيه : «إن الشعب المغربي ينتظر منا من بين ما ينتظر، مجهوداً مستمراً، لا من أجل تنمية سعادته المادية وحدها، ولكن لتكفل له أيضاً، الانتفاع من تطور فكري،



الملك محمد الخامس في أول عهده بالملك

يكون متلائماً مع إحترام عقيدته، ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقى درجة عليا في الحضارة، بأكثر ما يكون من السرعة).

لقد خطط في هذه الجمل القليلة، ما يهدف إليه، وما يريده لشعبه من رقي مادي ومعنوي، وفكري وروحي وعقيدي، فهو يريد التطور الحضاري بكل ما يمكن من السرعة، وهو يريد أن يكون هذا التطور في دائرة الحفاظ على العقيدة التي تشبث بها شعبه خلال العصور، وهو أولا وأخيراً، يريد أن يُسعد شعبه، ويزيل عنه هوان الفقر والاستعباد.

وهكذا دخل رحمه الله في معمعة الكفاح والنضال والبناء، في مختلف الجوانب، هذا الكفاح الطويل المرير الذي قام به محمد الخامس، ابتداء من سنة 1927 وهي السنة التي بويع فيها بالملك، إلى السنة التي توفاه الله فيها راضياً مرضيا يوم 26 فبراير 1961، عاشر رمضان عام 1380هـ، وهو الذي أضناه وأتعبه، ليؤدي الأمانة التي تحمّل. هذا الكفاح الطويل المرير، هو الذي تصدى له الأستاذ الشريف الأجل، السيد علي منير العلوي، المكلف بمهمة في الديوان الملكي، في كتابه الذي جعل عنوانه :

محمد الخامس، ملك من أهل الله

والكتاب مقسم إلى ثلاثة أجزاء، الجزء الأول، جعل عنوانه : محمد الخامس بطل الأمة، وتحدث فيه بإسهاب عن محمد الخامس في معاركه الطويلة والصعبة، لتحرير شعبه من ربقة الإستعمار، وتحقيق الاستقلال، ابتداء من سنة 1930، التي كانت

البداية العلنية السياسية، لمواجهة المخططات الاستعمارية، الهادفة إلى تقسيم الشعب المغربي، والقضاء على ذاتيته، وشخصيته، ووحدته، وعقيدته، وهُويته، المتمثلة (في التشبث بالدين والوطنية والملكية) مستحضراً دائماً وأبداً مهمته كأمير للمومنين، في حماية الإسلام من الدخلاء والجاهلين، والتشبث بالدفاع عن سيادة الأمة وتوحيدها وصيانتها من كل فرقة.

وبالإطلاع على ما جاء في كتاب الأستاذ العلوي، نتعرف إلى كثير من الحقائق والمواقف التي وقفها محمد الخامس، وهو يجاهد في مختلف الواجهات، سواء لدى مقاومته للمخططات الاستعمارية، التي أتى بها المقيمون العامون الفرنسيون، ابتداء من ليوطي، وستيغ، ولوسيان سان، وانتهاء بجوان، وكيوم، ودولاتور، ومن بعدهم، أو لدى كفاحه في المجال التربوي، والتعليمي، والثقافي، والسياسي، والنهضوي.

أما الجزء الثاني، فيمكن أن أقول : إنه اختص بجانب لم يتعرض له كل الذين كتبوا عن محمد الخامس، وأعني به الجانب الديني والصوفي، فلقد جعل عنوان هذا الجزء : (محمد الخامس، رجل الله).

ولقد تحدث في هذا الجزء الذي فصله إلى فصلين، الفصل الأول : في أولياء الله، وتحدث فيه عن مفهوم كلمة وَليّ بتطويل، كما تحدث عن من هم أولياء الله، وعن الطريق إلى الولاية، وعن كرامات الأولياء، وختم هذا الفصل بقوله : (والسّمة الأولى والأساسية التي امتاز بها محمد الخامس رحمة الله عليه، هي

انخراطه من بداية عهده، في لجة الحياة الوطنية، بالسلوك الفاعل والإيجابي، والحرص على أن تكون أعماله وتصرفاته، موافقة لمنطوق القرآن والسنة، ولذلك يحق له أن يطمع في محبة الله، كما يحق لغيره من «الذين آمنوا واتقوا».

في الفصل الثاني، الذي جعل عنوانه : (حب في الله ولله) قال فيه :

إن من أهم الجوانب المشرقة لجلالة المغفور له محمد الخامس، بل وأهمها على الإطلاق، هو ذلك الإشعاع الروحي، الذي كان يتجلى من شخصيته الفذة، والصادر من إيمانه بربه، وبوطنه، وبيقينه أن له رسالة يؤديها لتحرير هذه الأمة، وإعلاء شأنها، ويتحدث في هذا الفصل عن البعد السلفي في الإصلاحات الدينية، ثم يتحدث تحت عنوان : تجليات ربانية في محطات مسيرة محمد الخامس النضالية. عن تسميته (محمداً) و لم كان هذا الإسم بالذات، وعن اختياره للملك، لماذا وقع ؟ رغم أن إخوته أكبر منه سناً، أما التجلية الثالثة حسبما قال : هي الدموع التي انهمرت من عينيه عندما استقبل وفد علماء فاس، عام الظهير البربري، إلى غير ذلك من التجليات.

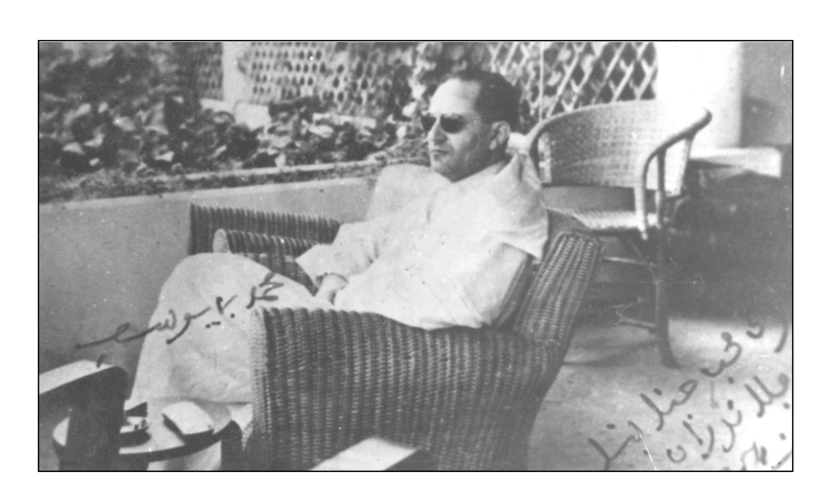
أما الجزء الثالث من الكتاب، فلقد أتى فيه بشهادات، وإشادات بمحمد الخامس، من طرف شخصيات سياسية وثقافية وأدبية.

وبعد فلقد بذل الأستاذ الجليل سيدي علي منير العلوي حفظه الله، جهداً كبيراً لإخراج هذا الكتاب عن محمد الخامس

رحمه الله، معرفاً بكثير من جوانب عظمته وعمله لخير بلاده، وعقيدته، حتى تحقق في عهده وبتضحيته المثالية، ووفائه لدينه وعقيدته ووطنه، ما كان يطمح إليه طوال حياته، من حرية وانعتاق واستقلال لبلده، فرجع إلى بلاده من منفاه مردداً قول خالقه : ﴿الحمد لله الذي أذْهَبَ عَنَّا الحزَن إنّ ربّنا لغَفورٌ شَكُور﴾ فجزى الله الأستاذ علي منير العلوي على ما قدم من معروف لأبناء وطنه، بتأليفه لهذا الكتاب، وتعريفه بالملك الصالح المصلح محمد الخامس رضوان الله عليه.



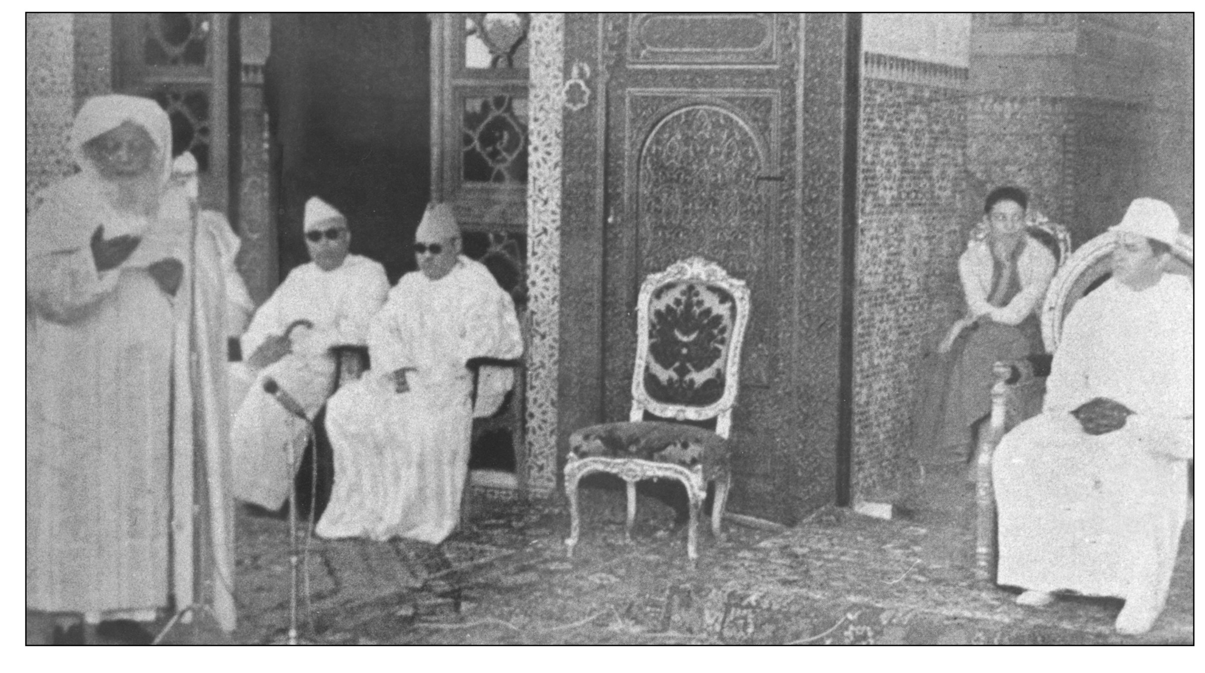
محمد الخامس



الملك محمد بن يوسف



محمد الخامس، يستمع لخطاب ولي عهده المولى الحسن،
لدى توليه ولاية العهد



الفقيه بن العربي يلقي خطبة تولية الملك الحسن الثاني لولاية العهد،
ويظهر في الصورة الأميران الجليلان : المولى إدريس، والمولى الحسن، أخوى محمد الخامس

كلمة ألقيت في الحفل التأبيني [1]
لسعيد حجي سنة 1942

مع سعيد في ميدان العمل

ترجع معرفتي لسعيد حجي، إلى سنة 1929، وقد كان مسافراً إلى لندن، قصد تعاطي الدروس هناك، ولكن اتصالي الوثيق به ومشاركتي الجدية له في العمل الوطني[2] يتأخران إلى سنة 1932. حيث كان بالشرق العربي، يتمم دروسه بمختلف الجامعات هناك[2].

ومنذ ذلك الحين، وصداقتنا لا تزيد إلا توثقا[3]، فعملنا جنبا لجنب، ولم يزدنا تعاقب الأيام، إلا تفانيا في مبدئنا، وتوسعا في دائرة العمل[4].

ولئن كان يتعين على أخ من إخوان الفقيد الاخصّاء، أن يتحدث عنه بمناسبة ذكراه الأربعينية، فإنه يتعين علي وقد

(1) أنشر هذا الخطاب، رغم مرور أزيد من ستين سنة على إلقائه، لأوضح أن المراقبة الاستعمارية، كانت قاسية وشديدة على كل ما يكتب أو يلقى من خطب، وكانت لا تقبل حتى التعريف بكلمة (وطني).
(2) الكلمات أو الجمل الموضوع تحتها خط، حذفها الرقيب الفرنسي، الذي كان يطلع على الكلمات والخطب قبل إلقائها.
(3) حذف الرقيب عدة جمل تتعلق بالرابطة الوطنية التي تربطنا الخ.
(4) حذف الرقيب ثلاث جمل كما هو مسطر عليه في الأصل.



فقيد المغرب والشباب، المأسوف عليه سعيد حجي

1330 - 1361 هـ/ 1912-1942 م

شاركته العمل السنوات العديدة، أن أقول كلمة مختصرة، أتعرض فيها لبعض ما عرفته عن سعيد، وما خبرته فيه من أول يوم تصادقنا فيه، إلى أن لقي ربه.

يبتدئ عملي الثقافي والوطني مع سعيد، في إحدى العطل الصيفية، حيث رأيت فيه نعم الشاب الحي، المتقد حماسا وغيرة، والمهتم جد الاهتمام بمستقبل هذه البلاد.

فكنت أزوره المرة تلو الأخرى، لأتحدث معه في مختلف المسائل والأعمال، وكنت ألاحظ فيه ذلك الحين، أنه يود أن يضع الأسس الثابتة لتفكيره، ليبني عليها ما يأتي بالخير للشبيبة والبلاد.

وكان ينير لي السبيل، ويأخذ بيدي للمحجة، كي أتعاون وإياه على ما تصبو إليه نفوس المخلصين.

ومهما اجتمعت به قصد درس إحدى المسائل، إلا وأرى فيه الرجل الجاد الحازم، الذي يضع الأشياء مواضعها، والذي يهمه عقباها ونجاحها. فتراه يرشدك لبعض النقط التي ربما تغفل عنها، إذا ما سرت في الطريق، وتراه يحذرك من أن تقع في الفشل الذي يفلّ من عزيمتك، فترجع خاسرا مندحرا. وتراه فوق كل ذلك يخلص لك الإخلاص كله، ويفي بما يتعهد لك به، ويستمع كل الاستماع لما تلاحظه عليه، دون أدنى قلق أو امتعاض.

ولعل أهم ما كنت ألاحظ فيه رحمه الله، ترويه في الأمور، ونظره البعيد إلى المسائل المطروحة على المذاكرة، وقتلها درسا وتمحيصا قبل الإقدام عليها. وإنني لازلت أذكر أن من جملة ما كنا

نشتغل به في أول عهدنا بالصداقة، دراستنا للشخصيات الوطنية الموجودة في ذلك الحين، وكتابتنا عنها، وتعرفنا لنواحي الضعف والقوة فيها، لتكون الفائدة في الاتصال بها مجدية، ولنتجنب كل العوارض التي ربما تكون سببا في قطع العلاقة معها.

وهنا يجب علي وقد واريت السعيد التراب، أن أعترف بأنني استفدت كثيرا من ملاحظاته القيمة، إذ كان معي ذلك الحين، كالأستاذ، وكنت معه كالتلميذ ؛ نظرا لأنّه تعرف على الكثيرين من العاملين من قبلي.

قضى سعيد أربع سنوات بالشرق العربي، كنت متصلا معه خلالها على الدوام، فكان يكتب إلي بكل ما يروج في خلده، وما يود أن يقوم به من الأعمال، وكنت أزوده بما لدي من المعلومات، وما نود أن نقوم به من المهمات.

ولقد كنت ألمح بين سطور رسائله العديدة، إخلاصا تاما، وطموحا زائدا، وذكاء متقدا، ونظرا صائبا. فكنت أزيد فيه محبة، وفي الاتصال به رغبة.

وليس المجال واسعا لأتحدث بتفصيل، عن المشاريع التي كنا نضع تصميماتها ذلك الحين، والتي كنا نعمل كي نصل إليها، مختلف الوسائل، ومتعدد الأشكال. ولكنه من المفيد أن أعرفكم بأن سعيدا منذ ذلك الحين، بل وقبل ذلك الحين، كان يفكر في أن يصبح صحافيا، يصدر النشرات المتعددة، ويفتح بابا بقي مغلقا سنين وأعواما.

ولعلكم لا تدرون أنه تدرب على الصحافة منذ صغره، فكان يصدر جريدة خطية، لا تزال مجموعتها موجودة إلى اليوم، ثم كان يحرر بإحدى الجرائد الكبرى بالشرق العربي، عندما كان طالبا هناك. وكان همه أن ينشئ دارا مثل دار الهلال بمصر، تصدر جملة من الكتب، والمجلات، والجرائد والنشرات. وتخدم فكرة صالحة تنير لهذا الشعب الطريق، وتدربه على أن يفتح عينيه ليرى ما عند الغير، فيدرك ما أدركوا.

على أن همه الأول، كان ينحصر في أن يصدر جريدة أو مجلة أدبية، تقوم بثورة اجتماعية منظمة، وتعمل لفكرة حية صالحة، فتخط الطريق، وتمحي ما عليه القوم من عوائد وأوهام ؛ ولطالما كان يحدثني بهذا في البعيد القريب، وكثيرا ما يكرر الحديث عنه في آخر حياته.

ولا زلت أذكر أننا كنا اتفقنا على إصدار نشرة مغربية عربية بالقاهرة، يتولى هو وجملة من الإخوان معه تحريرها هناك، وأتولى أنا تزويده بكل ما يحتاج إليه، وكانت النشرة على وشك الإصدار، لولا موانع حدثت ذلك الحين، فصرفتنا عما نريد.

رجع سعيد من مصر سنة 1935، وكله نشاط وآمال، فكان يتحين الفرص، ليبرز إلى الميدان، وكان يستعد تمام الاستعداد، ليضع على كاهله كثيرا من المهام.

وما أتت سنة 1936، حتى صمم على إصدار جريدة يومية، كانت الأولى من نوعها ؛ فاستغرب الناس، وظنوا أنه ليس في استطاعة هذا الهيكل الصغير، أن يقوم بهذا العمل الكبير. وكان

سعيد إذ ذاك مومنا بأنه سينجح، ومتأهبا للإخفاق، إن حاربه الإخفاق، فوضع الخطط والبرامج على عادته في كل أعماله ومشاريعه، وسار بسم الله مجراه ومرساه.

أقبل الشعب على (المغرب)[5] وكثر قراؤه ومريدوه، وأصبح وجوده ضروريا وأكيداً، ثم أتى دور الثقافة والأدب، فصار يهيئ للأمر تارة بملحق، وأخرى بعدد ممتاز، إلى أن كون أسرة، جعل على كاهلها، خدمة الثقافة المغربية، ورفع شأن المغرب الثقافي والحضاري.

إن الأدوار التي مر عليها طول مدة عمله، والصعوبات التي لقيها في طريقه، وتغلبه القوي على الشدائد المحيطة به، لتعطينا صورة مصغرة ودقيقة على عزيمته، وخصاله، ومميزاته ؛ وتجعلنا نؤمن بأن الله سبحانه وتعاالى منحه مواهب وخصائص، لم يهبها إلا للقليلين.

فرحمك الله يا سعيد، لقد كنت مثالا حيا للنشاط الدائم، والعمل المستمر، والتضحية الكاملة. ولقد فقدنا فيك عنوان الرجولة، والجد في الأعمال، والخضوع للمصلحة، والفكر الواسع، والصدق في المعاملة، والثبات في كل الأحيان.

رحمك الله وأسكنك فراديس الجنان آمين[6].

---

(5) اسم الجريدة اليومية التي كان يُصدر، ابتدأت ثلاثة أيام في الأسبوع، ثم صارت يومية، إلى أن توفاه الله.

(6) لقد أصدرت كتابين خاصين عن سعيد حجي، تحدثت فيهما عن حياته ونشاطاته المتعددة، في المجال الوطني والثقافي، ونشرت في الجزء الثاني نماذج من إنتاجه الثقافي.

المرحوم العبادلة، بن الشيخ محمد، ابن الشيخ الأغظف، بن الشيخ ماء العينين، كما عرفت عنه

أود في البداية أن أتوجه بالشكر إلى السيد المندوب السامي للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، على اهتمامه بالقضايا الوطنية ورجالاتها الصادقين، وبالمقاومة وأبطالها الأبرار، والتعريف بنضالهم في سبيل عزة هذه البلاد، والحفاظ على وحدتها، والذوذ عن كرامتها، تحت ظلال الجالس على عرشها، المؤتمن على استقلالها وعقيدتها.



ماء العينين العبادلة

وإن الندوة التي تعقد اليوم، لإحياء ذكرى المرحوم العبادلة ابن الشيخ محمد الأغظف، بن الشيخ ماء العينين، تعتبر بحق، من المبادرات المشكورة التي تعبر بصدق، على أن شعار الوحدة الوطنية الذي كان يرمز له الشيخ ماء العينين، بكفاحه، ونضاله المستميت، سيبقى دائما شعارا لكل وطني صادق في وطنيته، معتز كامل الاعتزاز بوحدته، منافح عنها، بكل ما يملكه من قوة وإيمان، وصدق في الوطنية. عامل جهده، وباذل كل ما يستطيعه، لتخليص ما بقي من تراب مغربي، تحت وطأة الأجنبي.

لقد كان الشيخ ماء العينين العبادلة، أحد الرجال الصادقين في مغربيتهم، المدافعين عن وحدة بلادهم، في المناطق الجنوبية من بلادنا، وكان من المعروفين بغيرتهم الوطنية والدينية، واخلاصهم للقيم النبيلة التي عاشوا حياتهم كلها من أجلها، لا بأقوالهم فحسب، ولكن بنضالهم لمكافحة المؤامرات الاستعمارية الأجنبية، والتصدي لكل ما تدبره لتمزيق وحدتنا الترابية والوطنية، ولا غرور في ذلك، فآل ماء العينين، توارثوا عن أجدادهم روح الجهاد والتضحية في سبيل الكرامة والوحدة، وكافحوا المستعمر الغاشم، منذ البدايات الأولى لمؤامراته، أوائل القرن العشرين، سواء أكانت هذه المؤامرات من طرف الانجليزيين، أو الفرنسيين، أو غيرهم.

ولقد قرأنا في سجل تاريخ آل ماء العينين، أن البعثة العزيزية التي زارت الشيخ ماء العينين، بعد تحرير مرسى طرفاية من قبضة الانجليز، قوبلت من طرف الشيخ ماء العينين وصحبه الكرام، بالترحاب الكبير، وحياها الشعراء السنجيطيون الذين كان من جملتهم الشاعر إبراهيم البواري، الذي قال في قصيدة طويلة، يحيى أعضاء البعثة، وكانوا خمسة أفراد يرأسهم خليفة السلطان وابن عمه، مولاي ادريس، ما يلي :

أهلا بهم من خمسة أعلام — بل خمسة كقواعد الإسلام
رسل الأمير بن الأمير إمامنا — عبد العزيز بن العزيز الإمام
من خصه المولى بأعلى رتبة — تلك الخلافة رحمة الأنام
لازال مخصوصا بكل فضيلة — إذ خصنا بأئمة الأقوام

إلى أن يقوم :

ولأنتم من عند شيخ فاضل ماء العيون المصطفى بمقام
ساقي الورى ساقية الحمراء من عز الورى إسقاء ضيف ظام

وبعد تحقيق استقلال بلادنا في الخمسينيات، كان في مقدمة الوفود الصحراوية القادمة من أقاليم الساقية الحمراء، ووادي الذهب، وفد ترأسه الشيخ ماء العينين، أتى لتجديد العهد على التمسك بأوامر البيعة، التي توارثوها للعرش العلوي المجيد، موطدين العزم على مواصلة الكفاح، لاستكمال تحرير أراضيها التي كانت مازالت آنذاك ترزح تحت نير الاحتلال الأجنبي، ظل الفقيد المرحوم الشيخ ماء العينين العبادلة، وفيا لذلك العهد، وللقيم الوطنية الإسلامية التي عرفت عائلة الشيخ ماء العينين بالدفاع عنها، وتوسيع دائرة المومنين بها، سواء داخل الوطن أو خارجه، بفضل التوجه الوحدوي الذي حرص الشيخ ماء العينين الأكبر، على انتهاجه لجعل حد للصراعات التي كان يعاني منها المجتمع.

والشيخ ماء العينين رحمه الله، لم يكن يعمل ويصارع للوحدة في دائرة وحدة التراب الوطني فحسب، ولكنه كان يعمل لتحقيق الوحدة في الجانب العقيدي والديني، والمذهبي والصوفي أيضا، لقد لاحظ أن أتباع ومريدي الطرق الصوفية، يتنافسون فيما بينهم، تنافسا قد يؤدي إلى بعثرة الجهود، والقضاء على الوحدة الإسلامية التي دعا إليها الإسلام، فنادى داعيا إلى مؤاخاة الطرق وتعاونها وتكاثفها، نظرا لوحدة

مصدرها، وهو القرآن الكريم، والسنة النبوية الطاهرة، الأمر الذي جعل الزعيم المرحوم علال الفاسي يشيد بدعوته الوحدوية، ويقول فيما حرره في كتابه : الحركة الاستقلالية في المغرب العربي، عن الصراعات التي كانت موجودة : (ويبرز في الميدان الشيخ ماء العينين، فكرة شبيهة بمنهاج الشيخ السنوسي، لتوحيدالطرق وأتباعها. وينجح في دعوته، وتسود البلاد روح صافية في الدين والقومية) انتهى كلام علال الفاسي.

إن ما دعا إليه الشيخ ماء العينين من حفاظ على الوحدة الإسلامية السمحة، التي تعتبر الضامن الأساسي والفعال لكل نجاح، تعتبر كذلك تفعيلا للخط الذي سارت عليه الطريقة القادرية، التي كان من مريديها والمنتمين إليها : فالطريقة القادرية. في حقيقتها، كانت تقوم على قاعدتين أساسيتين : التربية العملية، الدينية الصحيحة، والإعداد لإعلاء كلمة الله بالجهاد، ومقاومة البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان.

إن قيام الشيخ محمد فاضل، والد الشيخ ماء العينين باتباع الطريقة القادرية التي سماها الطريقة الفضلية، جعل هذه الطريقة الفضلية، تقوم بدورين أساسيين في افريقا السوداء : دور الدعوة الإسلامية التربوية، ودور مكافحة ومقاومة الوجود الأجنبي، والمد الاستعماري، منذ أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، وجعل القبائل الصحراوية تلتف حول الشيخ ماء العينين، للقيام بواجب الدفاع عن التراب، وإعلاء شأن العقيدة الإسلامية، يقول الزعيم علال الفاسي أيضا :

"ويرجع الفضل في توحيد قبائل الجنوب، إلى الشيخ ماء العينين، وولده الهيبة، الذي كون من حوله حركة وطنية بالمعنى الدقيق للكلمة، وكافح الفرنسيين، مطاردا هؤلاء القواد الكبار، حتى احتل مدينة مراكش" انتهى كلام علال.

لم تخبُ جذوة تلك الروح الوطنية الإسلامية، رغم الاحتلال الذي استعمل شتى أنواع الترهيب والترغيب، للقضاء عليها، بل بقي الراحل رحمه الله، أحد الوجوه البارزة التي واصلت حمل الرسالة بالتوعية، للانخراط في صفوف المقاومة السياسية، مؤمنا بأن في مقدمة ما ينبغي التركيز عليه هو التعليم، باعتباره المقوم الحيوي للتحرير في كل أبعاده، وكانت له مبادرات رائدة في إنقاذ العديد من أبناء أقاليمنا الجنوبية من الحرمان من التعليم، وظل رحمه الله وفيا للقيم الوطنية السامية التي نشا في محيطها، عمل على صيانتها، وإعطاء النموذج في تمثلها، إلى أن لقي ربه راضيا مرضيا، مخلفا حسن الأحدوثة والتقدير من كل عارفي فضله.

تعمده الله برحمته، وحشره في جملة الصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

والسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته.

أبو بكر القادري

16 محرم الحرام 1424، 20 مارس 2003

رسالة إلى الشاعر المبدع الأستاذ محمد الجزولي[1]

حضـرة الأخ الـودود، الشـاعـر الموهـوب، الأسـتـاذ السـيـد محمد الجزولي.

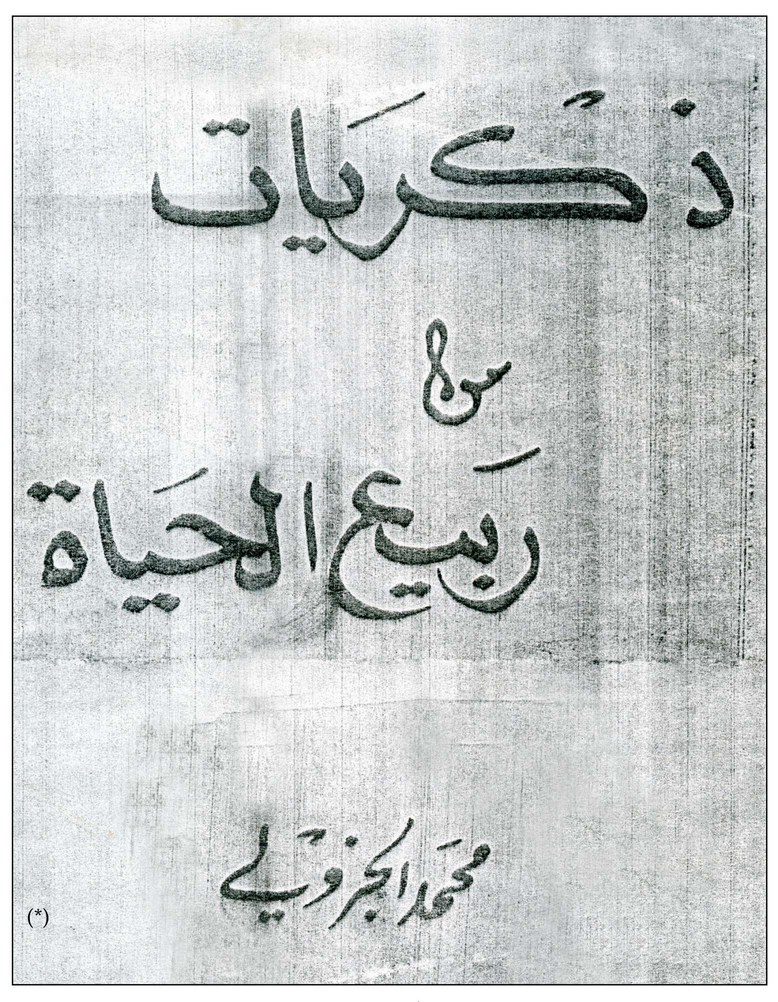
حياك الله وبياك، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فلقد تقبلت بيد الشكر والامتنان، هديتك الربيعية الممتعة، فسعدت بذكرياتها، وعشت لحظات، بل سويعات أسبح في غررها وبدائعها. والحقيقة أنها ذكريات شيقة، فيها أنس ومتعة، وفيها ذكرى واعتبار، وهي مع ذلك تعبير صادق عن روح وثابة، وشاعرية فياضة، وقلب نقي طاهر، وإخلاص متناه للمثل العليا. لقد تجولت أيها الأخ الكريم في ربيع روضك اليانع، ومتعت عيني وفكري وقلبي وجوارحي بأزاهيره المتفتحة، وتنقلت بين جداوله المنسابة الرقراقة، وتنسمت رياحينه الشذية، فانشرح صدري، وسعدت نفسي، وتفتحت آمالي، وتمنيت أن أعيش الوقت الطويل، والليالي ذوات العدد، مع شاعرية لازالت "تضج طراوة وغضاضة" ومع شاعر موهوب، يبلى الزمان ولا



محمد الجزولي

(1) أنظر ترجمة حياته في الجزء الحادي عشر من (رجال عرفتهم). وهو من شعراء العشرينيات، ومن الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال عام 1944.



إلى حامل راية التثقيف والتعليم، المجاهد في سبيل الوطن بصدر رحب وقلب سليم، الكريم الأخلاق، الرطب الأصول والأعراق، السيد بوبكر القادري رعاه الله، من محمد الجزولي.

1 جمادى 1391 / 22 - 6 - 1971

(*) إهداء بخط الشاعر الجزولي، إلى أبي بكر القادري.

تبلى شاعريته، وتمر السنون ولا تتضاءل موهبته، إن ذكرياتك أيها الشاعر الموهوب، تعبير صادق، عن روح متأججة، وتخليد داعم لنفس تواقة إلى المعالي، وتصوير لحياة، كلها وفاء وطهارة ونقاء : وفاء للقيم السامية، ووفاء للصداقة المخلصة، ووفاء للمجتمع الذي تعتبر نفسك منه وإليه.

لقد بعثت ذكرياتك في نفسي بدورها ذكريات، يوم كنا شبابا نتغنى من جملة ما نتغنى به، بقصيدتك الممتعة، أو نشيدك القوي : (زمان المجد هل لَكَ أن تعودا) فتتقوى هممنا، وتشتد عزائمنا، ونزيد ثقة بنفوسنا، وبالوصول إلى تحقيق أهدافنا.

لست أيها الأخ الكريم أعتبر نفسي من الأدباء، ولا من المتأدبين، ولم يسعدني الحظ بحافظة تعي كثيرا من الأشعار، ولا كثيرا من القصائد، ولكني أستطيع أن أدعي أن قصيدتك المشار إليها، بقيت دائما في ذاكرتي، حتى إذا ما استعدت قراءتها في ذكرياتك، وجدتني وكأنني حفظتها بالأمس لا غير.

وبعد فكأني بشبابنا الحي، يطلع على هذه الذكريات، فيدرك أن هذه النهضة التي تشق طريقها، وهذه الحرية النسبية التي نتمتع بمكاسبها، قد وضع أسسها رواد أولون، ومهد لها جيل من المخلصين، لا يعرف عنه إلا القليل اليسير.

فعسى أن يكون نشرك لذكرياتك الربيعية، حافزا للهمم، ودافعا لنشر ما احتفظت به بعض الخزائن من الغرر.

ودعائي في الأخير، أن يحفظك الله وبرعاك، ويبقيك ذاكراً لإخوتك، الذين يباهون بشاعريتك، وإخلاصك، ووفائك، والسلام عليك ورحمة الله.

لَلاَّ رقية الأمرانية، كما عرفتها

جماعة من النساء الوطنيات الملتزمات، تعرفت عليهنّ منذ الأربعينيات، كن في منتهى الالتزام الوطني السليم.

كانت في طليعة هؤلاء النسوة، الأخت لَلاَّ رقية الأمرانية، والأخت الحاجة خدوج مَسَطْسَة، والأخت الصالحة المتواضعة، الحاجة فاطمة زنيبيرية.

ازدادت للاَّ رقية الأمرانية بمدينة مكناس سنة 1915 ولم تكد تبلغ السابعة من عمرها، حتى انتقلت مع أسرتها الشريفة إلى مدينة "سلا"، حيث قضت أغلب فترات حياتها، ولم تستقر في "الرباط" إلا في أخريات حياتها. لم أتعرف عليها قبل الأربعينيات، ولم أعلم عنها أنها التحقت بالكتّاب القرآني، أو ما يسمى عندنا بدار المعلمات، حيث كانت البنات يلتحقن بها، ليتعلمن مبادئ القراءة والكتابة، أو حفظ بعض السور القرآنية، مع تعلم مبادئ الطرز وما شابهه.

ولما بدأت الحركة الوطنية تنمو ويتزايد عدد المنخرطين، في حزب الاستقلال، الذي كان يسمى قبل ذلك بالحزب الوطني، كانت للا رقية الأمرانية، من جملة المنخرطات في الحزب، وكانت من النشيطات المتحمسات الداعيات،



الحاجة للارقية المرانية

وكلّ من تعرف عليها، يلاحظ فيها حيوية وقبولا وتأثيرا على من تخاطبهم، أو تشاركهم في العمل الوطني، أو الخيري، أو الاجتماعي بصفة عامة.

شاركت مشاركة فعالة في الخلايا الوطنية السياسية الحزبية، وشاركت في النشاط الاجتماعي والخيري، خصوصا لدى مرافقتها للأخت فاطمة حصار، التي بمجرد ما التحقت بسلا في الأربعينيات، حتى أبانت عن نشاطها، ووطنيتها الصادقة، سواء في المجال السياسي، أو التعليمي، أو الإسعافي، حيث تطوعت بإلقاء دروس فرنسية، وفي التدبير المنزلي بمدرسة النهضة، التي كانت المدرسة الوحيدة الثانوية بمدينة سلا، وكانت فتيات الأقسام العليا بالمدرسة، يستفدن الاستفادة الكبيرة من تلك الدروس، وكانت الجماعة الوطنية النسوية الأولى التي منها للا رقية الأمرانية، يشجعن كل التشجيع هؤلاء التلميذات، ليتستفدن من كل الدروس النظرية والتطبيقية، حتى صرن أمثلة تحتذى بها كثير من المدارس.

لقد كانت مدرسة النهضة إذ ذاك، مثال المدرسة الوطنية الصميمة، سواء في مناهجها التعليمية، أو في مجالها التربوي، الأمر الذي جعل الإقبال عليها يتزايد، لا من سلا وحدها، ولكن حتى من مدن أخرى قريبة أو بعيدة، وشاءت الأقدار أن يلتحق بالأقسام الثانوية بالمدرسة جماعة من تلامذة مدينة "فجيج"[1] لم يكن لهم ملجأ للسكنى، ولا حتى ما يستطيعون ما يقتاتون به،

(1) راجع القصائد الثلاث التي نظمها أحد قدماء تلامذة (فجيج) الأستاذ الجامعي، السيد عبد الرحمان عبد الوافي الفكيكي، حول مدرسة النهضة وحول مدينة (سلا).

وكان للمدرسة دار اكترتها، جعلتها مقرا لسكنى التلاميذ الواردين عليها من الخارج، وكانت إدارة المدرسة متكلفة بالنفقة عليهم مجانا. ولما ضاق المكان بالتلاميذ الواردين من بعض الجهات، ومنهم تلامذة فكيك المذكورون، بادرت جمعية النساء الاستقلاليات، وفي طليعتهنّ للا رقية الأمرانية، فاكترت منزلا كبيرا في أحد أحياء المدينة، وجعلته دارا للطلبة الواردين، وتعهدت بالنفقة عليهم والقيام بشأنهم، وبلغت درجة الاعتناء بهم الغاية القصوى، عندما كان هؤلاء الأخوات، يتعاهدن التلاميذ بمناسبة الأعياد، ومن جملتها عيد الأضحى، فيذبحون الكبش والكبشين، داخل دار الطلبة، ويستقرن معهم يوم العيد، ليشعر الطلبة كأنهم وسط عائلاتهم وأسرهم.

والواقع أن للا رقية الأمرانية، كانت بالإضافة إلا ما ذكر، تقوم بدور المنشطة والمفرجة، حيث أعطاها الله حلاوة اللسان، وبشاشة الوجه، ما يجعل التلاميذ يشعرون أنهم مع أمهاتهم، يعيدون ويمرحون بمناسة العيد. وهكذا أعطت هذه الجماعة النسوية الدليل على أن دور المرأة الوطنية في التكوين الوطني والثقافي، دور له أهمية كبيرة، لم يسبق أن كانت تقوم به في الماضي.

وجانب آخر من جوانب الاهتمامات التي كانت تقوم بها الجماعة النسوية المذكورة، وفي طليعتها دائما للا رقية الأمرانية، جانب الإسعافات للمرضى والمصابين بالعاهات، وتجلى ذلك في جمعية الهلال السلاوي، وجمعية التعاون العائلي، حيث كانت الجمعية تحتضن مجموعة من الأطفال المعوزين، وتمدهم بما يحتاجون إليه من معونات، ويتعلق الأمر كذلك بمساعدة بعض العجزة الكبار، الذين كانوا يحتاجون إلى المساعدة.

وفي هذا المجال التعاوني، لابد أن أسجل أن تلميذات وتلاميذ مدرسة (النهضة) كانت تنظّم لهم ولهن مخيمات، بمناسبة العطلة الصيفية، وكان الذي يقوم بدور الإشراف والمراقبة، والتوجيه، بعض الأساتذة، ولكن دور الجماعة النسوية في هذا المجال أيضا، كانت له أهمية، حيث كانت للا رقية وأخواتها يقمن بدورهن في مساعدة هذه المخيمات ومراقبتها، حتى تؤدي رسالتها التربوية على أحسن الوجوه.

وهكذا أعطت المرأة الوطنية الدليل القاطع، على أن دورها بالنهوض بالمجتمع، ليس دورا ثانويا هامشيا، ولكنه دور أساسي، لا غنى عنه، وقد يفوق في بعض النواحي دور الرجل، ودور للا رقية الأمرانية وأخواتها، لم يكن مقتصرا على النواحي الاجتماعية، والخيرية، ولكنه بالأساس وبالأولوية، كان دورا سياسيا وطنيا، وتجلى هذا في عملهن على تأسيس كثير من الخلايا النسوية، التي كانت تجتمع أسبوعيا لتتلقى التوجيهات الوطنية السياسية، سواء عن طريق النشرة الحزبية، أو عن طريق المسيرات اللائي يعهد إليهن بهذا، من طرف مسؤلي الحزب في المدينة، وهكذا كانت مشاركة المرأة في كل المراحل التي قطعتها الحركة الوطنية الاستقلالية، خصوصا في الأربعينيات والخمسينيات، وخلال نفي وإبعاد محمد الخامس، رحمه الله عن عرشه، مشاركة فعالة.

وإن أنس فلا أنسى يوم 29 يناير 1944 يوم إلقاء القبض على بعض زعماء الحزب، وقيام المظاهرات العظيمة في الرباط

وسلا. لا أنسى والمسجد الأعظم غاص بالمتظاهرين المختلفي الطبقات، لا أنسى والأجنحة الخلفية من المسجد غاصة بالنساء، وهن يتجاوبن مع الرجال في قراءة اسم الله اللطيف، فإذا أوقف الرجال أصواتهم للاستراحة، تعالت أصوات النساء بدورها، تعلن كلمة اسم الله (اللطيف بأصوات مؤثرة ومشجية، وكانت المرحومة البتول الصبيحية، أخت الزعيم عبد اللطيف الصبيحي، من المتزعمات الوطنيات في تلك الفترة، وكانت للارقية الأمرانية وأخواتها من المناضلات المشاركات في المظاهرات، ومن جملة المشاركات في المظاهرات التي كانت في ذلك اليوم، المرحومة الشهيدة خناتة الروندة، التي أصيبت برصاص الجيش الاستعماري في ساقيها، اللذين أصبحا عبارة عن قطع من الدم الجامد، أثناء المظاهرة، وبقيت تعاني منهما، حتى التحقت بعفو الله، رحمة الله عليها، بعد أيام من المظاهرة، ولقد كنت مع زمرة من رفاقي في الحزب، زرتها في منزلها مساء يوم المظاهرة، فوجدتها رحمها الله، في منتهى ما يكون صبر المؤمنات الصادقات، فخاطبتني بكلمات، تبرهن على صبرها، ورضاها، وتحملها بما لاقته في سبيل الله، وفي سبيل وطنها.

لما جاءت أحداث غشت 1953 التي وقعت بعد الاعتداء على العرش المغربي، بإبعاد محمد الخامس عن عرشه، وتنصيب الدمية الاستعمارية (ابن عرفة)، قامت قيامة الشعب المغربي، وكانت للا رقية الأمرانية، ضمن أخواتها من الناهضات المحتجات والمتظاهرات، فكان للمرأة المغربية

في ذلك الظرف بالذات، وجود قوي، وتحرك مستمر، برهنت للعادي والبادي، على أن المغرب بنسائه ورجاله، متشبث بعرش محمد الخامس، مثل تشبثه بالمطالبه بالاستقلال، وكانت للا رقية الأمرانية، تقوم بتحريض التجار على إقفال متاجرهم، للتعبير عن احتجاهم ضد تصرفات السلطات الاستعمارية، بنفيها لمحمد الخامس وإبعاده عن عرشه.

إن النشاط الوطني، للا رقية الأمرانية، لم يكن محصورا في مدينة سلا، ولكنه تعدى سلا إلى الرباط وغيرها من بعض المدن المغربية، الأمر الذي جعلها تأخذ مركزها في المجلس الوطني لحزب الاستقلال، الذي يعتبر السلطة العليا في الحزب، ومن خلال المجلس الوطني، تعرف عليها، ممثلات فروع الحزب في المجلس الوطني، فأشادوا بدورها، وقدروا وطنيتها.

لم يكن نشاط للا رقية الأمرانية، خاصا بالميادين السياسية والاجتماعية، وإنما تعداه إلى بعض النشاطات الدينية، فلقد كانت تغتنم فرصة مواسم الحج إلى بيت الله الحرام، لتنظم صحبة رفيقتها، الحاجة فاطمة بنت خدة، استقبال بعض الحاجات اللائي يقصدن مكة والمدينة، لأداء فريضة الحج، وتهيء لهن السكن في كل من مكة والمدينة، وكان المقام في الأمكنة المهيأة لذلك، متوفرا على كل شروط الراحة والتغذية، وكانت تقام أحيانا في تلك الأمكنة، بعض حلقات الذكر، ومدح الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام، وكانت تستدعي أحيانا بعض الطلبة المغاربة الذي كانوا يدرسون

ببعض الجامعات السعودية، بإكرامهم والاعتناء بهم، وسمعت من أخينا الدكتور الاسماعيلي، الذي كان يوجد بالسعودية كطالب ملتحق بالجامعة، أن للا رقية الأمرانية، كانت في أحد أيام رمضان في المسجد النبوي، تنصت لدرس كان يلقيه العلامة التونسي الشيخ الفاضل ابن عاشور، على بعض طلبة المغرب، قرب باب جبريل، وبعد انتهاء الدرس، قامت للا رقية طالبة من الأستاذ ابن عاشور وطلبته، أن يشرفوا بيتها بالمدينة المنورة، لتناول طعام إفطار رمضان فيه، فلبوا الدعوة، شاكرين لها كرمها، وحسن ضيافتها.

من خلال ما ذكرناه يتبين أن للا رقية الأمرانية لم تكن امرأة عادية، ولكنها كانت امرأة عصامية، وطنية، متحركة، نشيطة، متعددة جوانب النشاط، وأنها امرأة اجتماعية تعرف ما تقصد إليه من نشاط، وتعرف كيف تجمع حولها الكثيرات من النساء، ليشاركنها ويساهمن معها في نشاطها الوطني، والاجتماعي، والخيري، وحتى الأسروي والعائلي، وأنها تكون حاضرة حضورا فعليا، عندما تقع أحداث في المغرب، مثل أحداث المطالبة بالاستقلال، وأحداث غشت 1953، عندما اعتدى على العرش المغرب، وأحداث المسيرة الخضراء، وأنها لدى تكوين حركة المقاومة، كانت من المجندات العاملات في الميدان، وإن لم تتعرف عليها إذ ذاك عيون السلطات الاستعمارية، وأنها برهنت أثناء فترات المقاومة والفداء، مثل الحاجة فاطمة المالقية، التي أعطت المثال الوطني الصادق على أن المرأة لم تتخل عن أداء واجباتها الوطنية، في الظروف الصعبة التي كان

الشعب المغربي يناضل جاهدا في معركة الاستقلال، لم تكن للا رقية الأمرانية من النساء المثقفات، ولا المتخرجات من الجامعات، ولكنها كانت تخترق صفوف النساء، لتجذبهن إليها بأخلاقها، وتواضعها، ووطنيتها، وحتى بِمزحها الذي كان يكسبها محبة من جميع الذين أتيح لهم أن تعرفوا عليها، كانت فريدة من نوعها وسط النساء الوطنيات أخواتها، سواء من حزبها المنتمية إليه، وحتى من أوساط حزبية أخرى، وتيارات سياسية مختلفة، كانت مثقفة متفتحة جمَّاعة، وكانت ثقافتها شعبية، أدركت بها معرفة مخاطبة الطبقات الشعبية، بطريقة مبسطة مقنعة، جعلت النساء يتشوقن إلى الجلوس معها، والحديث إليها، والإنصات لما تتحدث به إليهن.

كانت امرأة متطورة حديثة، أدركت معنى التطور الضروري للمجتمع المغربي، الذي لابد منه إن أراد أن يلتحق بالركب الحضاري المتقدم، وأدركت بعقيدتها المؤمنة، أن التطور الضروري للمغرب، لابد أن يحافظ على الثوابت، ومنها الالتزام بالتعاليم الإسلامية، والسير بالتطور دون ابتذال وإباحية، ودون تقليد أعمى لكل ما يأتي من الغرب والغربيين. بل لابد من الحفاظ على الأصول الحضارية المغربية التي منبعها الإسلام، والتي ترمي إلى النمو الثقافي، والاجتماعي، والحضاري.

رحم الله للا رقية الأمرانية، وأحسن إليها وعفا عنها، وجازاها خيرا على ما قامت به من الأعمال.

في ذكرى
العلاّمة الأستاذ عبد الله كَنون

أيها الإخوة الأفاضل.

حضرات السادة والسيدات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إنها لمناسبة سعيدة تجمعني معكم في هذه المدينة الجميلة، بمناسبة الذكرى السنوية، لوفاة أخينا العلامة سيدي عبد الله كَنون، وبمناسبة حفل توزيع جائزة عبد الله كنون، للدراسات الإسلامية، والأدب المغربي لعام 1423 هـ.

وإني أغتنم هذه الفرصة، لأشيد بالساهرين على مؤسسة عبد الله كَنون، والعاملين على إحياء هذه الذكرى كل سنة، سائلا الباري عزت قدرته، أن يكافئهم ويجازيهم أحسن الجزاء، وأن يتغمد فقيدنا العزيز بوافر الرحمات.

لقد عاش العلامة عبد الله كَنون رحمه الله، حياته كلها باحثا في العلم، والأدب، والعلوم الإسلامية، ومقاصد الشريعة. ولقد أعطى العطاء الجزيل في كل ما اهتم به من علوم وآداب، وأصبحت مؤلفاته، وأبحاثه، وكتاباته المتنوعة

والمتعددة، مراجع أساسية، لكل من يتعاطى للدراسات الأدبية والإسلامية، يستفيد منها، ويرجع إليها الطالب، والأستاذ، والباحث، في المغرب وغيره من البلدان العربية، ولقد اشتهر كتابه النبوغ المغربي في الأدب العربي، شهرة طبقت كل الأقطار العربية، وأصبح مرجعا لا غنى عنه لكل من يبحث في الأدب العربي، ويطلع عليه، حتى قال فيه أمير البيان، شكيب أرسلان : (أنه خلاصة منخولة، وزبدة ممخوضة، استخلصها صاحبها من مآت الكتب المصنفة، وألوف من الأحاديث التي تلقاها من أفواه العلماء الذين أخذ عنهم، وقلما رأيت متلقيا من أفواه العلماء الذين أخذ عنهم، وقلما رأيت مؤلفا جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل، في درجة هذا التأليف، الذي هو ثمرة تحقيق وتدقيق، ودرس عميق، لم يخرج إلى قراء العربية أحسن منه في بابه).

شهادة من أمير البيان شكيب أرسلان، تغني عن كل الشهادات، وتعطي الدليل على أن أستاذنا عبد الله كَنون، كان يبذل من وقته، ومن مطالعاته ودراسته، ما استطاع به أن يبز أقرانه من الباحثين المطلعين، والدارسين الألمعيين.

لقد وهب الأستاذ عبد الله كنون حياته كلها للعلم والبحث. فكنت لا تراه إلا قارئا، أو كاتبا، في حضر أو سفر، بل حتى في حالة المرض، كان لا يفتر عن المطالعة والدرس، وهكذا كان عطاؤه غزيرا في كثير من الدراسات المختلفة، والمتعددة الأشكال والمواضيع. كان عبد الله كنون من رجالات المغرب الأفذاذ، ومن علماء المغرب المتنورين، ومن المشاركين



الأستاذ عبد الله كنون

القلائل في مختلف العلوم، ومن الشخصيات التي يشار إليها بالبنان في السلوك والأخلاق، والترفع عن الدنيات. أدرك كل الإدراك معنى رسالة العالم، فعكف على أداء هذه الرسالة، وأعطاها ما تستحقه من عزة، وكرامة، وترفع عن الدنيات.

وكانت نشأته الأولى، وهو يدرس العلم ويعلمه، تفرض عليه أن يعيش أوضاع بلاده، وما كانت تقاسيه في عهود الاستعمار، فكان في طليعة الوطنيين الأحرار، والمقاومين الأبرار، منذ مطالع الثلاثينيات، إلى عهود المقاومة والعمل لتحقيق الاستقلال.

لقد أدرك الأستاذ عبد الله كَنون المعنى العميق لرسالة العلماء، فكان عالما عاملا، وكان قدوة حسنة للعلماء في عصره، وكان إلى جانب ذلك، يمثل بعلمه وفكره وقلمه، شخص العالم المؤتمن على رسالة التبليغ، الجامع حوله نخبة من العلماء، كانوا يرون فيه الرائد الصادق، والعالم المؤتمن.

إن هذه الصفات والأخلاق التي اتصف بها رحمه الله، هي التي جعلته مِلْء السمع والبصر، ليس في المغرب فحسب، بل في المشرق العربي الإسلامي، بحيث كان له حضور مشع في المحافل والمجامع اللغوية والإسلامية، وفي المؤتمرات والندوات التي كان يشارك فيها.

لم يكن العلامة عبد الله كَنون من العلماء المنغلقين، ولكنه مع محافظته الكبيرة على الثوابت الإسلامية، كان متفتح الفكر على ثقافات العصر، متابعا للمستجدات، مطلعا على الأفكار والمذاهب الإنسانية السائدة في عصره.

ففكره متفتح للبحث ومستجدات العصر، لإيجاد الحلول لها، طبق مقاصد الشريعة التي تهدف إلى إسعاد بني الإنسان، في كل زمان ومكان. وهو في الوقت نفسه، حريص كل الحرص، متشبث كل التشبث بآراء الشريعة، جاعل أمام عينيه الحديث الشريف القائل: (تركتكم على المحجَّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك).

أيها الإخوة الأفاضل

لقد ذكرت في هذا الحديث، أن عطاء الفقيد عبد الله كَنون في مجال العلم والمعرفة، كان متواصلا طوال حياته، وها هو حتى بعد وفاته رحمه الله لازال يعطي، وها نحن نجتمع اليوم في هذا المحفل الكبير، لنوزع جوائز على بعض الباحثين الذين نالوا جائزة عبد الله كَنون خلال هذه السنة. وهي جائزة تعبر بجلاء عن المكانة التي يتبوأها في الفكر المغربي، وهي إلى ذلك ترمز إلى الاستمرارية وتواصل الأجيال، وإنني لسعيد أن أتقدم إلى الإخوة الفائزين، وأتمنى لهم المزيد من التفوق والتوفيق، والنجاح في أعمالهم الفكرية والأدبية.

وقبل الختام أجدد للإخوة الحاضرين، وأخواتي الحاضرات، الشكر والثناء على حضورهم معنا في هذا الحفل الشريف، سائلا الباري تعالى، أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السبت فاتح مارس 2003
ذو الحجة 1423.

العلامة الأستاذ عبد الله كَنون
كما عرفته

الإخوة الأفاضل،

حضرات السادة والسيدات،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

يسعدني أن أتحدث إليكم في هذا الحفل. وأودّ في البدالة، أن أتوجهّ بالشكر الجزيل، إلى مؤسسة عبد الله كَنون للثقافة والبحث العلمي، رئيسا وأعضاء على اهتمامها، ويسعدني بهذه المناسبة، أن أهنئ القائمين على هذه المؤسسة الوليدة، وأن أشيد بمبادرتهم، وأتمنى لهم كامل التوفيق، بإذن الله تعالى.

الإخوة الأفاضل،

إن هذه الشخصية الجليلة التي نجتمع اليوم لتوزيع الجائزة التي تحمل اسمها، على مستحقيها من الباحثين والأدباء والكتاب، هي من مفاخر المغرب، ومن مشاهير رجالاته في القرن العشرين ؛ فلقد كان سيدي عبد الله كَنون، تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته، شخصية عالية المقام، رفيعة المنزلة، في الخلق والسلوك، وفي العمل والممارسة،

وفي الأداء المتميّز لرسالة العلم، وفي النهوض بمسؤولية الفكر، والقيام بأمانة التبليغ، والدعوة إلى الله بالحكمة البالغة، وبالموعظة الحسنة.

كانت النشأة الأولى لسيدي عبد الله كَنون وطنية، إذ يُعدُّ في طليعة رجالات الحركة الوطنية المغربية، له فضلُ السبق إلى الانخراط في العمل الوطني منذ مطالع الثلاثينيات، حيث كان عضوا عاملا في كتلة العمل الوطني، ثم في الحزب الوطني.

والوطنية عند سيدي عبد الله كَنون، إسلامية المنطلق ؛ فقد كان العمل الوطني، كما فهمه وآمن به مع إخوانه من الرعيل الأول، هو العمل من أجل عزة الإسلام ونصرته، وفي سبيل تحرير الوطن من المستعمرين، واستقلاله في دائرة مبادئ السيادة الكاملة، تحت راية الإسلام الحق، الخالص من الشوائب التي تراكمت، وعظُم خطرها عبر الأحقاب، ومن أجل توفير الشروط اللازمة لبناء دولة الحرية والاستقلال، في إطار الملكية الدستورية.

لقد أدرك سيدي عبد الله كَنون المعنى العميق لرسالة العلماء، فكان عالما عاملا، وكان قدوة حسنة للعلماء في عصره، وفي هذا العصر، وكان إلى جانب ذلك، يمثّل بعلمه وفكره وقلمه، شخصية العالم المؤتمن على رسالة التبليغ عن رسول الله ﷺ.

وهذا الفهم العميق والمستنيرُ بنور الهدى القرآني، لرسالة العلماء، هو الذي جعل من سيدي عبد الله كَنون مثالا للعالم المجاهد بعلمه، وفكره، وقلمه، وبعمله وممارسته وسلوكه ؛ فقد كان رحمه الله ملء السمع والبصر، ليس في المغرب فحسب، بل

في المشرق العربي الإسلامي، بحيث كان له حضورٌ مشع في المحافل والمجامع اللغوية والإسلامية، وفي المؤتمرات والندوات التي يشارك فيها، وبذلك تخطَّى التأثيرُ الذي أحدثه سيدي عبد الله كَنون، في الفكر، والأدب، واللغة، والثقافة العربية الإسلامية، المحيطَ المغربي، إلى الدائرة العربية الإسلامية الأوسع.

وكان سيدي عبد الله كَنون مفكراً مستنير العقل، متفتّح الفكر على ثقافات العصر، محيطا بالمستجدات، واسع المعرفة بالأفكار والمذاهب الإنسانية التي سادت في عصره، فلم يجمد عند مرحلة معينة، وإنما واكب التطوّر الفكري والثقافي والعلمي والأدبي، من دون مساس بالثوابت الراسخة التي لا سبيلَ إلى تغييرها، بدعوى مواكبة العصر، ومسايرة متغيّراته. فكان بذلك، يرحمه الله، من العلماء الأجلاء الذين خلفوا آثارهم المتميّزة في التاريخ الإسلامي.

حضرات السادة والسيدات،

إن جائزة عبد الله كنون، تعبّر بجلاء، عن المكانة السامية التي يتبوأها في الفكر المغربي، وهي إلى ذلك، ترمز إلى الإستمرارية وتواصل الأجيال. ولذلك فإنني أهنئ الإخوة الفائزين، وأتمنى لهم المزيد من التفوق والتوفيق ؛ والنجاح في أعمالهم الفكرية والأدبية.

ويسعدني أن أجدّد لكم الشكر على حضوركم وحسن إصغائكم، وأسأل الله تعالى أن يوفقنا دائماً لما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رائد من رواد النهضة الفكرية الثقافية الوطنية الأستاذ عبد الله كَنون

حضرات السادة والسيدات،

السلام عليكم رحمة الله تعالى وبركاته،

يسعدني أن أتحدث إليكم في افتتاح هذا الحفل الذي تنظمه لجنة جائزة سيدي عبد الله كنون للدراسات الإسلامية والأدب المغربي، في دورتها السابعة. وأودّ بادئ الأمر، أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى السادة والسيدات الذين لبُّوا الدعوة التي وجّهتها إليهم مؤسسة عبد الله كنون للثقافة والبحث العلمي، ولجنة جائزة عبد الله كنون، لحضور هذا الحفل.

ويطيب لي بهذه المناسبة، أن أُشيد بالجهود التي بذلها الأخوان الفاضلان، الأستاذ سيدي محمد مصطفى الديسوني، رئيس المؤسسة، والأستاذ عبد الصمد العشاب، محافظ المكتبة، في تنظيم الترتيبات الخاصة بهذا اللقاء الأدبي، الذي نحرص على أن يجمعنا مرة كلّ سنتين. فالفضل بعد الله سبحانه وتعالى، يعود إليهما، بمعاونة عضو المؤسسة الدكتور سيدي محمد كنون، جزى الله الجميع كل خير.

الإخوة والأخوات الأفاضل،

كلما تقادم بنا العهد عن رحيل أخينا الكبير الأستاذ سيدي عبد الله كنون إلى عفو الله، إلا وتكبر في أعيننا صورته المشرقة، وتشمخ المكانة الرفيعة التي يتبوأها بين أقرانه من رواد النهضة العلمية، والثقافية، والأدبية، والحركة الوطنية في بلادنا. فالرسالة التي عاش حياته لها، ما أشد حاجتنا إليها اليوم ؛ لأنها رسالة التنوير الإسلامي الحقيقي، والتوجيه الفكري القويم، والترشيد الثقافي الهادف إلى بناء الإنسان المغربي، على أسس متينة من مبادئ دينه، وخصوصيات ثقافته، ومقومات حضارته. وكأنه، يرحمه الله، يدعونا اليوم إلى مواصلة أداء المهام الجليلة التي نهض بها في حياته الحافلة بالعمل، والعطاء بغير حدود، لدينه ولوطنه، ولأمته وللغته، وللثقافة العربية الإسلامية.

لقد دافع أخنونا سيد عبد الله كنون، عليه رحمة الله، الدفاع المستميت عن الهوية الوطنية المغربية، وعن الأصالة العربية الإسلامية، بفكره المستنير، وبقلمه البليغ، وبمواقفه الرصينة، وبما قدمه للعلم، والفكر، والثقافة، والدعوة الإسلامية، من جليل الخدمات، تشهد له بالنبوغ الذي يشرّف المغرب، وتشهد له أيضا بالتفوّق والبروز في ميادين كثيرة، عمل فيها بجد وصدق وإخلاص، حتى صار مثلاً سامياً للعالم الذي يعرف واجباته، وللمفكر الذي ينهض بمسؤولياته، وللوطني الذي يجعل من حماية مقدسات الوطن، أمانةص في عنقه.

تعود معرفتي بسيدي عبد الله كنون، إلى مطلع الثلاثينات من القرن الماضي، كنت أقرأ كتاباته في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في ذلك العهد، ثم صرت أقرأ مؤلفاته التي أذكر أن أولها كان هو الكتاب القيّم (**النبوغ المغربي في الأدب العربي**) الذي ازداد الطلب عليه، بعد أن أصدرت سلطات الحماية الفرنسية قراراً بمنعه في المنطقة الخاضعة لنفوذها الإستعماري. ثم اقتربت منه، وتعرّفت عليه، فازْدَدْت له محبة وتقديرا، لما لمسته فيه من خلال رفيعة، وسجايا حميدة، ومن صدق في الأخوة، ومودّة دافئة، هي عنوان مروءته، وطابع شخصيته. ولقد جمع بيننا العمل الوطني في مرحلته الأولى، تحت مظلّة كتلة العمل الوطني، حيث كان يقوم من موقعه في طنجة، الخاضعة آنئذ للإدارة الإستعمارية الدولية، بنشاط وطني مكثّف، يخدم من خلاله قضايا الوطن، بروحٍ من التفاني، فأسدى لوطنه خدمات جليلة.

وقد جمعنا العمل في رابطة علماء المغرب، لفترة كنت خلالها ألتقي فيها مع سيدي عبد الله كنون بين الحين والآخر، وألمس فيه غيرة العالم علي دينه، وثباته على المبدإ، وما أتاه الله من قوة وقدرة على الحركة والعمل، لرفع شأن العلماء في المجتمع، ولإسماع صوتهم في القضايا التي تتطلب بيان الحكم الشرعي فيها، بحكمة وتبصّر.

ولما أسسنا الجمعية المغربية لمساندة كفاح الشعب الفلسطيني، مع مطلع السبعينيات من القرن الماضي، كان

سيدي عبد الله كنون أحد أعضائها النشيطين، وكان يحضر جلسات الجمعية، ويدلي برأيه في التعليق على الأحداث، ويساهم في حدود الإمكان، في جمع التبرعات والمساعدات للشعب الفلسطيني، بل كان يلتزم بدفع اشتراكه الشخصي، في الجمعية بصورة منتظمة،

وأحبّ أن أقول في هذا السياق، إن مشاركة سيدي عبد الله كنون في الجمعية المغربية لمساندة كفاح الشعب الفلسطيني، كانت تعبّر عن التزام العالم المسلم بالقضية الفلسطينية، وكانت إلى ذلك مثالا للمواقف الشريفة التي يتخذها العلماء المسلمون في الدفاع عن القضية الفلسطينية من منطلق إسلامي. وهذا هو المطلوب من العلماء في كلّ حين، خصوصا في هذه المرحلة العصيبة، التي يعاني فيها الشعب الفلسطيني ألوانا من المعاناة القاسية، من جرّاء الهجمة الإسرائيلية العدوانية الإجرامية، التي يواجهها هذا الشعب الشقيق المناضل، في ظلّ صمت العالم العربي الإسلامي، وتخاذل المجتمع الدولي، وتواطؤ القوى العظمى مع إسرائيل.

وأذكر بكثير من التقدير والإكبار، من ذكرياتي عن تلك المرحلة، أن سيدي عبد الله كنون كان صلبا في مواقفه في الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني في الحرية والاستقلال، وفي إقامة دولته بعاصمتها القدس الشريف.

ومن ذكرياتي التي تربطني بسيدي عبد الله كنون أيضا، رحلتنا الحجازية الأولى، التي كانت في سنة 1957، حيث اختاره

جلالة المغفور له الملك محمد الخامس، قدس الله روحه، رئيسا لبعثة الحج الرسمية، وكنت عضوا في هذه البعثة. وقد أتاحت لي تلك الرحلة، أن أزداد قربا من سيدي عبد الله ، وأن أعرف من أمره ما شدَّني إليه بأوثق الروابط.

حضرات السادة والسيدات،

يقولون إنّ لكلّ مقام مقالا، وإن المناسبة شرط، ولذلك فليس من المتاح لي في هذه المناسبة، أن أسترسل في ذكرياتي عن العلامة الجليل سيدي عبد الله كنون. وحسبي أن أقول في ختام هذه الكلمة، إنّ تخصيص جائزة تحمل اسم العلامة سيدي عبد الله كنون، للباحثين في الدراسات الإسلامية والأدب المغربي، هو عمل جدير بكل التقدير، يدل على وفائنا لرسالته، عليه رحمة الله. وقد بلغ عدد البحوث والدراسات الفائزة بهذه الجائزة حتى الآن أربعة وعشرين بحثا ودراسة، تشكل في مجموعها زاداً معرفياً يغني المكتبة المغربية، تناولت قضايا إسلامية وأدبية وثقافية وتراثية شتى من جوانب متعددة.

أشكركم على حسن إصغائكم، وأسأل الله تعالى أن يوفقنا دائما لما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

رسالة إلى الأستاذ غلاب

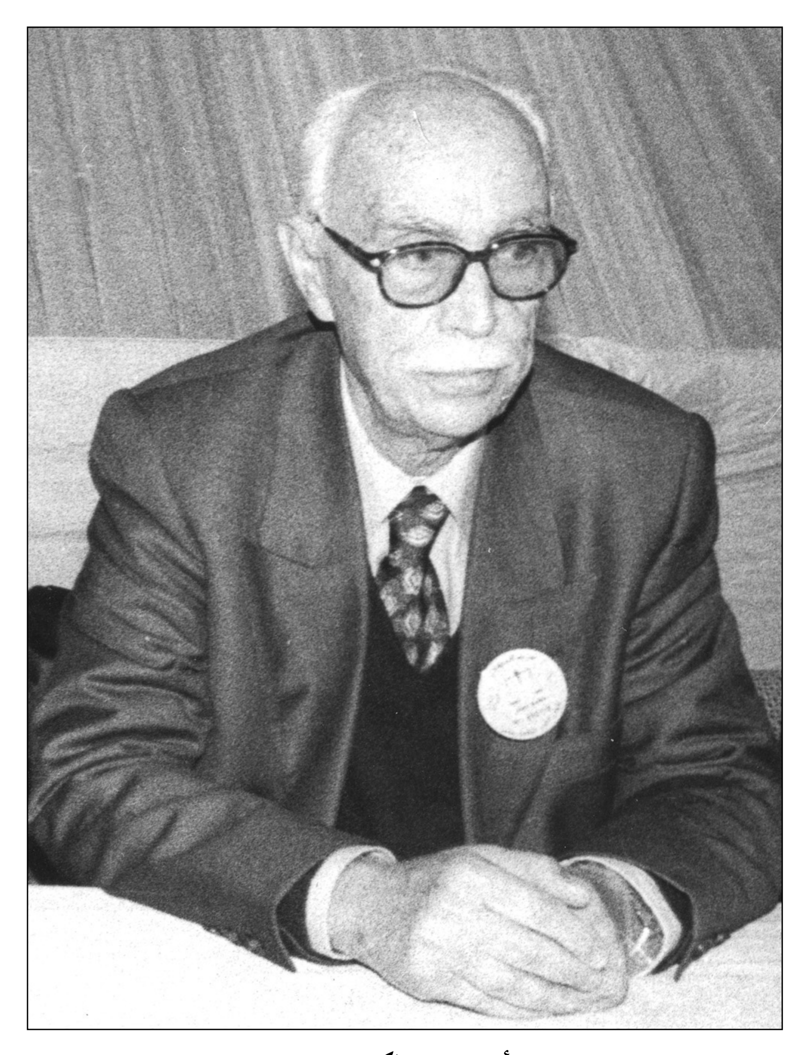
الأخ الأعز الأستاذ الكريم السيد عبد الكريم غلاب.

بعد السلام والتحية، والتقدير الكبير لما أتحفتني به.

وبعد، فلقد وصلتني الأعمال الكاملة لعبد الكريم غلاب، بأجزائه الخمسة، والواقع أن الأعمال الكاملة لعبد الكريم غلاب، لا تضمها أجزاء خمسة، ولا أجزاء عشرة، ولا أكثر من ذلك من الأجزاء.

فعطاء عبد الكريم غلاب، في نصف قرن، لا تحصره أجزاء عشرة، ولا عشرون جزءا، لأنه عطاء مستمر ودائم ويومي، الأمر الذي لم يستطع أي كاتب مغربي ملتزم، أن يقوم به، حسب علمي.

إن ما يزيدني تقديرا لأخي عبد الكريم، هو هذا العطاء المتدفق، والمتنوع، والملتزم، في كتابة عبد الكريم غلاب، ففي أي مكال من مجالات الفكر، والثقافة، وخدمة المبادئ الوطنية المثلى، تجد عبد الكريم غلاب في الطليعة، وذلك عطاء من الله، لا يظفر به إلا القليلون.



الأستاذ عبد الكريم غلاب

لقد نصبت نفسك منذ يفاعتك وأنت لازلت طالبا، للنضال في سبيل ما تؤمن به، وأعطيت الدروس بقلمك السيال الملتزم والقوي، وأبرزت عمليا، كيف يكون الالتزام بالقلم، وكيف يسخر لنشر المعرفة، والدفاع عن القيم المثلى في الحياة، وكيف ينبغي أن يكون المثقف الغزير الثقافة والمعرفة، وكيف يؤدي رسالته في الحياة.

إنني أيها الأخر الكريم أغبطك، وأفخر بعطائك المستميت في مجال القلم، ودؤوبك المستمر، وتوجيهاتك اليومية والمستديمة.

إنني وأقولها بكامل الصدق، لا أستطيع أن أعبر لك عن تقديري وإعجابي، لما يسديه قلمك من معروف، وما يوضحه من معالم الطريق.

فلتهنأ أيها الأخ العزيز بما وهبك الله من مكرمة قلمية، وروح وطنية، وأخلاق استمرارية، وليحفظك الله من كل مكروه، وليمن عليه بالصحة والعافية والتوفيق، حتى تبقى – إن شاء الله – قدوة صالحة مشرقة للكتاب الملتزمين، والصحفيين المقتدرين، وحملة الأقلام الراشدين، والسلام عليك من أخيك المقدر لنضالك.

أبو بكر القادري

سلا في 19 شعبان الأبرك 1422، 5 نونبر 2001

الأستاذ عبد الكريم غلاب
كما عرفته

(1)

ترجع معرفتي بأخي الأستاذ عبد الكريم غلاب إلى أواخر الثلاثينيات، عندما ذهب إلى مصر بقصد الدراسة، ففي ذلك الظرف، كنت عندما أزور مدينة فاس، يتحدث إلى بعض أصدقائي الوطنيين، عن ثلاثة شبان هاجروا إلى الديار المصرية قصد الدراسة، وكان في طليعتهم الشاب عبد الكريم غلاب الذي برز بنبوغه وتطلعه إلى المزيد من الثقافة والمعرفة، غير مكتف بما تلقاه من دروس في القرويين على أساتذتها المتعددين، ومن جملتهم الأساتذة : علال الفاسي وعبد العزيز ابن إدريس وبوشتى الجامعي رحمهم الله جميعا.

التحق عبد الكريم غلاب بالجامعة المصرية، وصار يستمع إلى المحاضرات والدروس التي تلقى فيها، على الأساتذة الكبار، أمثال طه حسين وأحمد أمين، وأمين الخولي وغيرهم.

فزادت ثقافته، وتوثقت معارفه، ونمت مداركه، وقوى شعوره بمسؤوليته نحو وطنه، فصار يتابع الأحداث التي تقع في بلاده، وصار يساهم المساهمة العملية في التعريف بقضية بلاده، سواء بالكتابة، أو بالمحاضرة، أو بالاتصال.

كانت الظروف، ظروف الحرب العالمية الثانية، فتحركت بعض الشعوب العربية وغيرها للدفاع عن قضاياها، والمطالبة بحريتها وانعتاقها من تحكم مستعمريها، وحماتها، ومستغليها، وانقطعت الأخبار عن بلاده، فلم يبق له أي اتصال لا بأسرته، ولا بإخوانه وأصدقائه، فصار لا يعلم أي شيء عما يقع في بلاده، ولم يسترح ضميره الوطني، الذي صار يدفعه دفعا هو وبعض إخوانه إلى القيام بعمل من الأعمال، لصالح بلاده في الظروف التي يمر منها العالم، والتي أعلن فيها من طرف الحلفاء عن فكرة تقرير المصير للشعوب المستضعفة، والمغلوبة على أمرها، وهكذا رفعوا هو ورفيقاه : عبد المجيد بن جلون، وعبد الكريم بن ثابت، ومن شاركهم من الذين لم أتعرف عليهم، وثيقة إلى ممثلي الحلفاء في مصر، يطالبون فيها، برفع الحجز عن بلادهم، وتمتيعها بحريتها وكامل حقوقها.

وشاءت الأقدار الربانية الحكيمة، أن يكون هذا العمل الذي قامت به هذه الزمرة القليلة من الشباب المغربي في القاهرة، متجاوبا التجاوب المثالي، مع الحركة التي قام بها الحزب الوطني في ذ لك الظرف بالذات، لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وتمتيع المغرب بالحكم الديموقراطي الدستوري السليم، الذي تتمتع به الشعوب الحرة.

وتطورت الأحداث في المغرب، بعد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، فوقعت أحداث أليمة، وتعددت المظاهرات في مختلف المدن المغربية، وامتلأت السجون والمعتقلات

بالأحرار الوطنيين، وصدرت أحكام بالإعدام على الكثيرين من المخلصين، واشتدت الأزمة، وتوالت المحاكمات، وكان لكل ما وقع صداه في مصر، فعلقت على ذلك الصحف، وكثر نشاط إخواننا الشباب المغربي، وفي طليعتهم عبد الكريم غلاب، فتوالت احتجاجاتهم على ما يقع في المغرب، واستنكارهم لتعسفات الاستعماريين، حتى انفعلت السفارة الفرنسية بالقاهرة، وطفقت تخفف من وقع الأحداث، وتتهم الوطنيين بالمبالغة والتهويل.

أصبحت القاهرة مركزا أساسيا للعمل الوطني المغربي، بوجود بعض قادة المغرب العربي، أمثال البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي، وعلال الفاسي، والحبيب بورقيبه، وقادة جبهة التحرير الجزائرية في القاهرة، وتأسست رابطة الدفاع على مراكش، ولجنة توحيد المغرب العربي، ومكتب المغرب العربي، وكان عبد الكريم غلاب من العناصر الشابة المتميزة بالنشاط والحيوية في كل من هاتين اللجنتين، بحيث انتخب كاتبا عاما لمكتب المغرب العربي، الذي كان ذا نشاط كبير، في التعريف بقضايا المغرب العربي على العموم.

ولدى نزول البطل ابن عبد الكريم الخطابي بالقاهرة، أثناء مروره بالسويس، عندما قرر الفرنسيون نقله من جزيرة "لارينيون" إلى باريز، كان عبد الكريم غلاب، من العاملين الأساسيين في ترتيب إنزاله، واستقباله، وإقامته بالقاهرة، ضيفا على حكومة مصر الشقيقة.

إلى غير ذلك من الأعمال والنشاطات التي كان يقوم بها هناك، من كتابات في الصحف، وإلقاء للدروس، واستقبال للمغاربة الذين يحلون بالقاهرة في تلك الفترات الحالكة.

وأخيرا رجع عبد الكريم غلاب إلى بلاده المغربية، لا ليستريح ويستنيم ويستكين، ولكن ليخوض المعارك المتتابعة في ميدان الجهاد الوطني، سواء في مجال الثقافة، أو مجال السياسة، أو مجال الصحافة، وهكذا تولى أوائل الخمسينات رئاسة تحرير مجلة "رسالة المغرب" الثقافية، فعرف كيف يطورها لتؤدي رسالتها الثقافية. كمجلة مغربية، تذوذ عن حرمات الثقافة المغربية، وتصد كل الحملات المغرضة ضد الحضارة المغربية، وصار يكتب في جريدة "العلم" اليومية التي تولى بعد ذلك رئاسة تحريرها، ثم مديرها المسؤول الأول، ولازال إلى الآن يتولى إدارتها وتحريرها، ولقد تحمل أثناء وجوده مديرا لجريدة "العلم" كثيرا من المتاعب والمصاعب وتعرض بسبب مواقفه الشجاعة للسجون والاستنطاقات، حتى في عهد الاستقلال مع الأسف الشديد.

وفي المجال السياسي، انغمر الانغمار الكلي في الدفاع عن قضايا بلاده، سواء في عهد الحماية البغيض، أو في عهد الاستقلال، فكان نشاطه داخل حزبه : حزب الاستقلال، نشاطا عز نظيره، سواء في مجال الكتابة في جريدة "العلم" التي لم يخلُ عدد من أعدادها اليومية، من مقال سياسي، أو

اجتماعي، أو اقتصادي، سواء بتوقيعه العلني، أو توقيع مستعار، أو دون توقيع، وبالإضافة إلى ذلك، لا يفتأ يحرر المقالات والأبحاث الأدبية المتنوعة، ويُصدر الكتب والتآليف المختلفة، ويساهم المساهمة الفعالة في المجال القصصي، المتعدد الأشكال والألوان، فهو لا يرتاح إلا إذا حمل القلم بين أصابعه، وصار يكتب، ويدبج المقالات والأبحاث، سواء في سفره، أو في حضره، نشاطه في مجال الكتابة، عز نظيره، وأكاد أشهد بأني لا أجد له نظيرا اليوم، في مجال الكتابة والتحرير، حسب ما وصل إليه علمي.

ونشاطه الصحفي والكتابي، لم يمنعه من المساهمة المستديمة في الاجتماعات السياسية التي يعقدها حزبه : حزب الاستقلال، فهو عضو في اللجنة التنفيذية وفي مجلس الرئاسة، وفي اللجنة المركزية، وفي المجلس الوطني للحزب، وفي غير ذلك من اللجان.

نشاط عبد الكريم غلاب، أعانه الله وقواه، نشاط كبير ومستمر، سواء في المجال الحزبي الخاص، أو في المجال العام، فعندما كان عضوا في البرلمان المغربي، كان المتكلم بلسان الحزب، وعندما أسندت له وزارة في بعض الحكومات السابقة كان وجوده فيها متميزا، وعندما انتخب رئيسا لاتحاد كتاب المغرب، كان موضع الاعتبار والتقدير، وعند ما عين في أكاديمية المملكة المغربية، كان العضو الناشط المعطي.

لعبد الكريم غلاب عدة مؤلفات، يصعب على أن أعددها جميعها، ولكني أذكر منها : (1) تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب (2) صراع المذاهب والعقيدة في القرآن (3) الثقافة في مواجهة التحدي (4) في الفكر السياسي (5) من اللغة إلى الفكر (6) الإسلام في مواجهة التحدي (7) مجتمع المؤمنين من هدى القرآن (8) مع الشعب في البرلمان (9) التطور الدستوري والنيابي في المغرب (10) معركتنا العربية في مواجهة الاستعمار والصهيونية (11) الفكر العربي بين الاستيلاب وتأكيد الذات.

وفي ميدان الرواية والقصة : (1) سبعة أبواب (2) دفنا الماضي (3) المعلم على، وأخيراً لم ندفن الماضي، إلى غير ذلك من المؤلفات والروايات التي لم أطلع عليها، أو لم أتذكرها.

أخونا عبد الكريم غلاب، مثال المثقف الوطني الملتزم، الكثير العطاء، حفظه الله وأعانه وقواه.

أبو بكر القادري



الأستاذ عبد الكريم غلاب يتحدث مع أخيه أبي بكر القادري
ومعهما الأستاذ عبد الحميد الكتاني

شخصية الأخ عبد الكريم غلاب

(2)

إخواني، أخواتي،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

يسعدني أن أتحدّث في هذا الحفل التكريمي الذي تنظمه الجمعية المغربية لخريجي الجامعات والمعاهد المصرية، لأخي ورفيقي في النضال، الأستاذ عبد الكريم غلاب، وأحبّ أولا أن أشكر للجمعية مبادرتها هذه، التي تعبّر عن روح الوفاء، والتي هي من طبيعة المغاربة منذ أن كانوا.

إن شخصية أخي الأستاذ عبد الكريم غلاب متعددة الجوانب، لأن حياته العملية، تتميّز بتنوع العطاء، مع غزارته في مختلف المجالات، فهو المناضل الوطني السياسي الصلب، وهو المفكر صاحب رؤية وموقف في مختلف مجالات المعرفة، وهو الأديب المبدع في القصة والرواية، وهو الصحافي الرائد الملتزم بقضايا بلاده، لقد أشرف على تحرير مجلة (رسالة المغرب) في أول عهده بالعودة إلى المغرب من القاهرة، ثم أشرف على تحرير جريدة (العَلَم) وعلى إدارتها، وفي الوقت نفسه، أشرف على تحرير مجلة

(البينة) الصادرة عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الإسلامية، لما كان على رأسها أخونا الزعيم علال الفاسي يرحمه الله، ثم أشرف على مجلة (آفاق) لسان اتحاد كتاب المغرب. وهو إلى ذلك كله، قطبٌ من أقطاب الحركة الوطنية المغربية الاستقلالية، وركنٌ من أركان النهضة الثقافية، والأدبية، والصحافية، في هذه البلاد، حياته كلها تضحيةٌ وبلاءٌ، وإنتاجٌ وعطاءٌ.

لقد اختار الأستاذ عبد الكريم غلاب طريقه منذ شبابه الباكر، فقد تعاطى الكتابة وهو دون السابعة عشرة من عمره، ونشر في مجلة (الرسالة) لصاحبها أحمد حسن الزيات، في سنة 1936، قبل أن يسافر إلى مصر، وكان شاباً مناضلاً مع إخوانه شباب كتلة العمل الوطني، الذين تشربوا روح الوطنية منذ نعومة أظفارهم. حتى إذا انتقل إلى القاهرة للدراسة، انخرط في العمل السياسي الوطني، لمصلحة بلاده. فلم يكن مجرد طالب متفوق في الجامعة، مثل زملائه طلاب الجامعة، ولكنه كان طالباً نابغة مناضلاً، مارس العمل السياسي في صفوف جبهة الدفاع عن مراكش أولاً، التي تأسست في القاهرة آنذاك، ثم لما تأسس مكتب المغرب العربي في القاهرة أيضا، في سنة 1947، حيث انتخب بالإجماع من إخوانه مناضلي المغرب والجزائر وتونس، أميناً عاماً له، وظل في هذا الموقع إلى أن غادر مصر عائدا إلى بلاده في عام 1949.

لقد عاش الأستاذ عبد الكريم غلاب، عقدا من الزمن في القاهرة، كان من أخصب فترات حياته النضالية والثقافية، قبل الاستقلال، برز فيها بروزاً قوياً، وظهرت مواهبه، وما حباه الله

به من قدرة على العطاء في شتي الميادين. وكانت تلك المرحلة هي الانطلاقة الأولى على درب طويل، سار فيه بعد عودته إلى أرض الوطن، في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ المغرب، حيث كانت الحركة الوطنية قد دخلت منعطفا خطيراً بعد مطالبتها بالاستقلال، وإصلاح البلاد في ظلّ الملكية الدستورية، وتطورت الأحداث في الاتجاه الذي أدَّى إلى انفجار الأزمة بين جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه، وحزب الاستقلال من جهة، وبين سلطات الحماية من جهة أخرى.

في تلك الفترة، خاض الأستاذ عبد ا لكريم غلاب المعركة السياسية، والصحافية، بفكره وقلمه، حيث تحمّل كثيرا من المسؤوليات في تسيير حزبه وصحافته، حتى إذا كانت أزمة ديسمبر سنة 1952، كان من أوائل المسؤولين الذين دخلوا السجن، ليمتحن مع من امتحن من إخوانه. وفي كتابه (سبعة أبواب) الذي صدر عن دار المعارف في القاهرة، بمقدمة للأديب المصري الشهير محمد تيمور، صورة واضحة المعالم عن هذه التجربة النضالية التي عاشها الأستاذ غلاب. وبعد الاعتداء على العرش المغربي بنفي جلالة محمد الخامس إلى كورسيكا، ثم مدغشقر، تحمل مسؤولية تسيير الحزب، ضمن مجموعة من أخوانه، كلجنة تنفيذية متحملة مسؤولية تسيير حزب الاستقلال، حيث كان أعضاء اللجنة التنفيذية كلهم في السجون والمعتقلات، وحيث تابعوا المعركة ضدّ الاستعمار بكلّ الوسائل التي كانت بين أيديهم، وحيث كانوا متصلين الاتصال السرّي الوثيق، مع محمد الخامس، رحمه الله.

وبعد الاستقلال، وَاصَلَ الأستاذ عبد الكريم النضال مع إخوانه في حزب الاستقلال، واختار دائما أن يكون في ميدان المعركة، فكان من البناة الذين أعلوا صرح الصحافة الاستقلالية. كما كان من الثلة الأولى التي عملت بالقرب من أخينا المرحوم الأستاذ الحاج أحمد بلافريج، الأمين العام للحزب، والذي عيَّنه جلالة الملك محمد الخامس وزيراً للخارجية، حيث وضعوا أسس الديبلوماسية المغربية. ولم يشأ الأستاذ غلاب أن تُبعده الوظيفة المرموقة في وزارة الخارجية، عن ميدان الصحافة، والأدب، والفكر، والثقافة، فاستقال من منصبه السامي، كوزير مفوض في الخارجية، ليتفرغ بالكامل للصحافة، ولقلمه، وللعمل الوطني السياسي. وعرف خلال مسيرته العملية طيلة هذه الحقبة، السجن والمحاكمات والمتابعات القانونية، بسبب الرأي السياسي الوطني، الذي كان يعبّر عنه دائماً. ثم جاءت ظروف في السبعينات، فرضت عليه أن يتولى وزارة الدولة المنتدبة لدى الوزير الأول.

وفي هذه المرحلة الخصبة من حياة الأخ الأستاذ عبد الكريم غلاب، أبدع في الأدب، وتفوّق في الصحافة، وبرز في هذين المجالين، بروزاً رفعه إلى ذروة العطاء والإنتاج، فتوالت مؤلفاته التي أصدرها في العديد من فروع الثقافة السياسية، والثقافة الأدبية، والثقافة الإسلامية والآداب القرآنية، وفي الفكر الدستوري، وفي التاريخ الوطني، وفي الفكر بصورة عامة، وفي الرحلات، وفي التراجم، وفي غيرها من الموضوعات.

وتربو مؤلفات الأستاذ غلاب على ثلاثين كتاباً تعددت موضوعاتها، وتنوعت قضاياها، وهي جميعها تشكل مكتبة مهمة. وسيطول المجال بنا، إذا استعرضنا هنا عناوين هذه الكتب، وأشير إلى بعضها لأهميته مثل : تاريخ الحركة الوطنية، صراع المذهب والعقيدة في القرآن، مجتمع المؤمنين في القرآن، في الثقافة الإسلامية والآداب القرآني، في الفكر السياسي، من اللغة إلى الفكر الثقافي، والفكر في مواجهة التحدّي، قصة المواجهة بين المغرب والغرب، مع الشعب في البرلمان.

إنّ التنوّع المعرفي التي تمتاز به مؤلفات الأستاذ عبد الكريم غلاب، يُكسبها قيمةً عليا، وأهميةً بالغة. وكما قلت، فإن الوقت المتاح لي في هذا الحفل التكريمي، لا يسمح بالحديث باستفاضة عن هذه المؤلفات. وحسبي أن أقول عنها إنها غزيرة المادة، دسمة الفكر، غنية بالإبداع الفكري والأدبي. فالأستاذ غلاب من الكتاب الكبار، والمفكرين البارزين، الذين يجمعون في مؤلفاتهم بين الإبداع الأدبي، والدراسات الإسلامية، والدراسات السياسية، والمباحث القانونية والدستورية، والتاريخ. وعلى ذكر التاريخ، فإن آخر كتاب صدر للأستاذ غلاب قبل كتاب (نحب الحياة)، يحمل عنوان : "قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي"، نشرته له دار الغرب الإسلامي في بيروت، في ثلاثة مجلدات، والذي لا زلت لم أطلع عليه، ولاشك أنه كتاب قيّم ونفيس، يدلّ على أن المؤلف يتجه في هذه المرحلة إلى التعمّق في دراسة تاريخ المغرب العربي،

ويؤكد ذلك تقديمه أكثر من عرض، خلال الفترة الأخيرة، أمام أكاديمية المملكة المغربية، حول تاريخ المغرب، حيث أبان عن رؤية عميقة، وفهم جديد لتاريخ الوطن.

إنَّ الأستاذ عبد الكريم غلاب مفكر، ذو رسالة يُوديها، وكاتب، صاحب قضية يلتزم بها ويدافع عنها. والكتّاب أصحاب الرسالة قليلون، خصوصاً في هذا العصر، فهو نموذج نادر المثال في الانكباب على العمل والجدية، وفي الدأب والسعي المتواصل، من أجل تحقيق المبادئ التي آمن بها منذ صغره، والوصول إلى الأهداف التي كافح من أجلها، وهي باختصار، بناء المجتمع المغربي على أسس الديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، وفي إطار دولة الحقّ والقانون والمؤسسات.

ولا يمكنني أن أغفل جانبا آخر من شخصية أخي عبد الكريم غلاب، هو جانب أخوته الصادقة، وتعاونه الوثيق مع محبي وعارفي فضله، والمقدرين لوطنيته وأخلاقه ووفائه.

إننا نُحيّي في الأستاذ المحتفَى به، أداءَه المتميّز لرسالته الوطنية، وإنجازه البارع والمبدع، لمشروعه الفكري والثقافي. ونتمنّى له مزيداً من العطاء، مع موفور الصحة وتمام العافية.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

عبد الله إبراهيم كما عرفته

تعرفت على المرحوم الصديق مولاي عبد الله إبراهيم، حوالي سنة 1935، أو 1936، حيث كنا نحن الجماعة الوطنية في سلا، في بدايات نشاطنا، نسعى جهدنا للتعرف على إخواننا الشبان الوطنيين في مختلف المدن المغربية، لقد كانت اتصالاتنا وتعرفنا على الجماعات الوطنية، ابتدأت بالرباط وفاس. في سنة 1932، وبالنسبة لي بالخصوص، بعد سراح المرحوم محمد اليزيدي من منفاه بالصحراء، بعد حوادث الظهير البربري سنة 1930، ثم كان اتصالي بالأخ الهاشمي الفلالي في فاس وسلا، ثم من بعدهم الإخوة الأخرون، وفي طليعتهم الزعيم محمد علال الفاسي، والزعيم الحاج أحمد بلافريج رحمهما الله.

وفي سنة 1935 أو 1936 زرت رفقة الصديق الحميم المرحوم سعيد حجي، مدينة مراكش، حيث التقيت لأول مرة مع نخبة من الشبان الوطنيين المراكشيين، في طليعتهم : المرحوم محمد الملاخ، والمرحومون : عبد الله إبراهيم، وعبد القادر حسن، ومولاي أحمد المنجرة، وبعض الشبان الآخرين، غابت عني أسماؤهم الآن.

لازلت أذكر أننا حضرنا أنا والسعيد حجي، في اجتماع خارج المدينة، لست أدري أأقاموه من أجلنا، أو كان مقرراً لديهم من قبل، وفي ذلك الاجتماع ونحن نتجول لاحظت شابا في سني تقريبا، يتجول معنا، وينطق أشعارا لست أدري أكانت من شاعريته، أو هي لغيره، وهي تعبير عما رآه أمامه من ورود، من جملتها شقائق النعمان، ولعل الوقت كان وقت ربيع، وكان من الذين يطوفون معنا الأديب الكبير، والباحث المؤرخ، السيد محمد الروداني، رحمه الله.

يمكنني أن أقول إنني في تلك السويعات التي قضيتها مع شبان وطلبة مراكشيين، لاحظت أن عبد الله إبراهيم، شبه النجم فيما بينهم، فهم يلتفون حوله، ويظهرون أمامه الشيء الكثير من التقدير.

لقد طاف معنا المرحوم عبد الله ابراهيم، بعض معالم المدينة، وزورنا بعض معالمها ورجالاتها التاريخيين، ومن جملتهم، ضريح القاضي عياض، رضي الله عنه وأرضاه.

وفي هذه الأثناء زرت مدرسة حرة، كان يشرف عليها ويديرها المرحوم العلامة الأديب الشاعر، محمد المختار السوسي، الذي كان أتى من (إلغ) للدراسة، أولا ثم بعد ذلك ليؤدي واجبه التعليمي والتربوي، من خلال مدرسته المذكورة، أو من خلال دروسه المسجدية.



الأستاذ عبد الله إبراهيم

كان لزيارة مراكش بالنسبة لي، والتعرف على وطنييها وشبابها، وطلبتها، أثر كبير في نفسي، فمراكش بتاريخها ورجالها، وآثارها، وطقسها، تفتح صدرها لزوارها، وتغريهم بزيارتها في كل الظروف، وفي كل المناسبات، والمراكشيون عموما، يجذبونك إليهم بصفاء طويتهم، وبشاشة أوجههم، وحلاوة منطقهم ونكتهم، ما يجعلك تشتاق إلى زيارة مراكش، في كل المناسبات.

وتعاقبت الزيارات إلى مراكش، وتعاقب الاتصال بعبد الله ابراهيم، سواء في مراكش، أو في الرباط، أو في سلا، في مناسبات وطنية شتى، وتقوت العلاقة مع الأخ عبد الله ابراهيم الذي وجدت فيه النبل، والأخلاق، وطيبة النفس، زيادة على الثقافة المتينة، والأدب الرفيع، والوطنية الصادقة. وبعد فسح المجال شيئا ما لحرية الصحافة بالمغرب في عهد الجبهة الشعبية الفرنسية، أصدر المرحوم سعيد حجي جريدة (المغرب) اليومية، وبعدها الملحق الثقافي، لنفس الجريدة، فكان عبد الله ابراهيم يحرر مقالات، وأبحاثا أدبية، وتاريخية، كانت مثال الاهتمام، والإعجاب، والتقدير من المثقفين، والكتاب والمبدعين. ومنذ شبابه المبكر، وهو منقطع إلى القراءة، والمطالعة والدراسات المتنوعة، فزيادة على دراسته في جامعة ابن يوسف بمراكش، والتي تعتبر بمثابة جامعة القرويين بفاس، والتي نال منها شهادة العالمية، يترآى لي، أنه كان منظما لمطالعات وقراءات في مواضيع علمية، وتاريخية، وفلسفية، لا تدرس بابن يوسف، وكان متتبعا للنهضة العلمية الحديثة، بكل

ما تتطلبه من دراسات متأنية، وتفكير عميق، وهضم للمعلومات المختلفة، والتي كان الإشعاع الغربي الثقافي يمدها بكل جديد، كما كان يتابع النهضات في فرنسا وألمانيا بالخصوص، من خلال التطورات التي وقعت فيهما في القرنين السادس عشر، والسابع عشر، الميلاديين، ويعتبر أن الثقافة أمر مشترك، لا جنسية لها، فهو يقول في مقال كتبه في سنة 1938 (والحق أن الاستقلال في الثقافة، أمر غير معقول، إذا قلنا ثقافة مغربية إسلامية، فلسنا نقصد بذلك المعنى الموضوعي، وإنما نقصد معنى ذاتيا للثقافة، تلونت بلونه، وذلك لأن الثقافة سلسلة غير محدودة، ولا تعرف في معناها الموضوعي، تخوما جغرافية، أو أوضاعا يصطلح الناس عليها، وهذا أبرز فارق بينها وبين الاختصاص، الذي يعنى بفروع من المعرفة محدود) والثقافة كما عرفها (تعني المشاركة إلى حد ما، في جميع العلوم، وجميع الفنون، والتعمق في أطوار الحضارات، والأحداث التاريخية الحاسمة في حياة البشر، ولعل أخص صفات "المثقف"، هو هذا الاطلاع العميق، وهذه القدرة على التحليل، وصدق الإنتاج، وسلامة المقارنة، في معالجة المشاكل والشؤون. ويعتقد عبد الله ابراهيم أن الثقافة الحق، لا تكتسب بالطريق النظامي المدرسي، لأنها (لا تكتسب بالتخصص في فن، أو فنين، أو ثلاثة، وإنما هي إلى ذلك، مجهودات فردية، في كل ما يعد الإنسان للتقدير الصحيح).

ومن خلال ما أشرت إليه، يتبين لنا أن عبد الله ابراهيم، وهو في مراحل شبابه، لم يكن قانعا بثقافته المحدودة، التي كانت هي

السائدة في محيطه الثقافي، المنبعث أساسا من دراساته في ابن يوسف، والتي لم يكتف بها، ومن دروسه التي كان يتلقاها من الأساتذة البارزين في ذلك الوقت، في جامعة ابن يوسف، ولكنه كان متطلعا إلى التغيير، وإلى التجديد، وإلى الآفاق الثقافية الحديثة، التي لا يختص بها شعب دون شعب، ولا ينبغي أن تبقى محصورة في نطاق الغربيين وحدهم، دون أن تمتد أروقتها إلى بلده، وإلى مدينته، وإلى أبناء جيله، إنه يريد التفتح، يريد الثقافة الحديثة، يريد أن يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

ويتواصل تفكيره في موضوع المعاصرة، وضرورة التطور، فيكتب مقالا تحت عنوان : (ثورة العقل) وفي هذا المقال، يكتب قائلا : (ونحن أمام تطور خطير، يرتطم بحياتنا ارتطاما، ويكتسحها في طغيان وإسراف، ليقتلع جذور هذه التقاليد التي نشفق عليها، وننزعج كلما سمعنا صيحة داوية في سبيل التحرر منها) إلى أن يقول : (ولكن الذي يهمنا من ذلك كله، هو ما إذا كان هذا التطور، مرتكزا على دعامات من الفكر ثابتة، تستطيع أن تنظم سيره، وتمده بالحرارة الكافية، وبالقوة أم لا ؟).

ويلتفت حوله، لينظر ما يدعون بالمثقفين المحيطين به في ابن يوسف وغيرها من المعاهد، حتى الجديدة منها، فيصاب بخيبة كبيرة، لأنه يرى كثيرا من البطء في السير إلى الأمام، وكثيرا من الخوف والتقصير، وعدم الجرأة والإقدام على التغيير، فيكتب معبرا عما يجيش في نفسه، معزرا المثقفين المتحرجين والخائفين، قائلا (أنا أعتقد أن الكاتب المغربي اليوم، مصاب بمرض قد لا يتهيأ معه إلى أن يكون له رأي

مفهوم في هذه الحياة التي أصبح يحياها اليوم، وهذا المرض هو عدم إخلاصه للحقيقة التي يدركها في نفسه، ولكنه يتحرج من الظهور بها أمام الناس) إلى أن يقول : (لي أصدقاء كثيرون، كلما حادثتهم وحادثوني، ظهروا لي في صورة كلها طرافة، ونشاط، وجاذبية، ولكنهم لا يظهرون عليَّ، في مجلة أو جريدة، إلا في صورة شاحبة مترددة، مطبوعة بطابع المألوف المعتاد، ولا أعلل هذه الظاهرة، إلا بكونهم يتحرجون فيما يكتبون، وتزعجهم الطرافة، يظهرون بها على الناس، وهذا عيب أقل ما فيه، أنه شوه يقظتنا الفكرية، ورمى إنتاجنا الأدبي بالتفاهة والجمود، ثم يقول : (الذي ينقص نهضتنا الفكرية إذن، هو الجراءة اللازمة، ليستطيع الإنسان أن يصدع بما يعتقد أنه الحق في الحياة، ينقصنا أن نفتح النافذة قليلا لنشم من الهواء الطلق، وننصح الناس بما نعتقده صوابا، ونحن مطمئنون مرتاحون. ويختم مقاله الثائر قائلا : (وليس المغرب أول ميدان يتجلى فيه الكفاح بين دعاة الترقي، ودعاة الجمود، وليس المغرب أول أرض تندلع فيها ثورة العقل على التقاليد الفاسدة، وعلى الحياة التي لا تنظر إلى الأشياء، إلا بعينين من وراء).

لقد قفز عبد الله ابراهيم في مقاله هذا، من حيز المثقف الأديب الكاتب، إلى حيز الثائر المصلح، وإلى الوطني الصادق، الذي ينشد الإصلاح المجتمعي، وكشف عن نفسه بأنه يتهيأ ليكون أحد الوطنيين الصادقين، الذين نصبوا أنفسهم للإصلاح والتقدم، وهم في معمعة الحياة[1].

(1) ملحق المغرب للثقافة، العدد 6 ماي 1938.

عبد الله ابراهيم في دعوته هذه إلى تغيير الوضع، وثورة العقل، يلتقي مع صديقنا المرحوم سعيد حجي، صاحب ملحق المغرب للثقافة المغربية، فهو يقول في العدد الأول من الملحق في كلمته الأولى : (يتوقف تدعيم مصير بلادنا المغربية على عدة انقلابات، في مختلف ميادين الحياة، لِنتَّجِه جميعاً اتجاه العصر، ونماشي تياراته، ونستكنه تطوراته، وبذلك وحدهُ نحتفظ بوجودنا، ونعمل على استقرار شؤوننا، فهناك الناحية الاجتماعية التي ينقصنا فيها كثير من عناصر القوة والمتانة، وهناك الناحسة الاقتصادية التي لا غنى لنا عن تجديد دولبها، وتركيز دعائهما، على أسس صحيحة، وطرق جديدة، وهناك الناحية السياسية، لبث روح جديدة، في جماعات الأمة، لتقدر حقوقها، وتؤدي واجباتها في اطمئنان وسلام، وهناك الناحية الأخلاقية، حيث تحارب هذه الموبقات التي فشت في وسطنا، وهوت به حيث هو الآن.

كل تلك النواحي محتاجة إلى عمل جدي متواصل، ولكن ناحية أخرى، قد تكون أجدر من تلك النواحي بالاهتمام، ولو (على الأقل في المرحلة الأولى، هي ناحية الفكر، ناحية الثقافة، حيث لا نرى في وسطنا، إلا شبه جهود مبعثرة، لا تجمعها فكرة، ولا تربطها رابطة).

ويقول في مقال آخر تحت عنوان : (حاجتنا إلى التلقيح) إن الدواء الوحيد الناجع، لبث روح العمل، وتجديد نشاطنا، هو أن نسعى في تلقيح حياتنا، نختلط بالأمم المتمدنة أيما

اختلاط، لنقتبس منها أسباب الرقي العصري، وننفض عنا غبار الجمود الذي أثقل كاهلنا، وأوقفَ سريان الدم في عروقنا، وهذا الاختلاط المرجو، والتلقيح المنشود، لا يحتاج لجماعات الأمة كلها، فانتقالها عسير، وتلقينها روح العصر أعسر، فهو لا يقع إلا على يد طائفة فتية من الأمة، تستطيع أن تفتح قلبها لمدنية العصر، وتهضم مقوماتها، لتحاكيها أولا، وتبدع فيها ثانيا.

في هذا الظرف الذي كتب فيه عبد الله إبراهيم، وسعيد حجي، يدعوان إلى التغيير والتلقيح، نجد علال الفاسي في سنة 1936 يدعو إلى التجديد فيقول : (كل ما في المجتمع المغربي، قد أصبح متداعيا للبلى، وكل ما في المجتمع قد أصبح داعيا للتجديد، هذه الحقيقة التي يجب أن يعرفها الجميع، وإنه لمن سقوط الفكر، وقبح النظر، أن نبقى قانعين بهذه الحياة البالية الراكدة، هذه الحياة التي ترجع بنا إلى بطون التاريخ المظلم، فنجعل بيننا وبين عهد المدنية، فاصلا حديديا من الزمن، ثم لا تدعونا أنفسنا للخروج عليه، واجتيازه إلى أفنية الحياة الجديدة، حيث الدفء، وحيث النور.

فواجب الذين يعملون لصالح أمتهم، أن يجعلوا هذه الحقيقة نصب أعينهم، وأن يدرسوا مجتمعهم المغربي من جميع نواحيه، ثم يحتفظوا بالأسس الصالحة فيه، ويهدموا ما تراكم عليها من أطلال وأنقاض. وبعد ذلك يرمون الأسس، ويبحثون عن المادة الصالحة للبناء، ويتقدمون للعمل،

فيشيدون بناء عصريا شامخا على أسسهم الدينية والقومية، التي لا تضعف قواها أبدا، إذا ذاك نستطيع أن نتمتع بالحياة الطيبة المنشودة، راضين بها، مطمئنين إليها، إذ ذاك، ندخل إلى ميدان العمل الصالح الذي كان أسلافنا يقومون به. (نبنى كما كانت أوائلنا تبني، ونفعل مثل ما فعلوا) هذه نماذج من الكتابات والدعوات التي كانت في الثلاثينيات، ونحن في معمعة بداية معركة التحرير، التحرير من الاستعمار، والتحرير من التخلف، والتحرير من الجمود. وهذه كوكبة من أمثلة الذين كانوا يهيئون أنفسهم لقيادة الشعب المغربي، في المعارك المستقبلية، وفي طليعتها معركة المطالبة بالاستقلال والتحرر من الاستعمار، والتي شاء الله أن تجتمع وتتلاقى في حزب وطني، كان يسمى في الأول بكتلة العمل الوطني، ثم سمي بالحزب الوطني، ثم حزب الاستقلال، والتي كان من رجالها الصامدين عبد الله ابراهيم رحمه الله.

ويلاحظ من الأسماء التي ذكرت، أنهم من مدن مختلفة : مراكش، فاس، سلا. وأن الوعي الوطني، والشعور بمسؤولية العمل على تحرير الوطن من الجمود، والركود، والتخلف، والاستعمار، لم يبرز أولا من مدينة واحدة، ثم انتقل منها إلى المدن الأخرى، ولكنه في الوقت نفسه، كان من ثلاثة مدن وغيرها لم أذكرها، كالرباط، وتطوان، وطنجة، وغيرها.

إن هذا التعدد في الانبعاث والوعي الوطني، يدل على أن المغرب رغم تخلفه المجتمعي، والثقافي، لم يفقد في

مختلف أطوار تاريخه، ومنها أوائل القرن العشرين، رجالا وشبابا كانوا دائما حريصين على أن يدعوا، ويعملوا للنهوض به، والحفاظ على هويته، وربط حاضره بماضيه، وهي ميزة لا تتوفر عليها كل الشعوب.

وإذا كنا لا نعثر على معرفة كثير من الواعين المفكرين في مستقبل وطنهم، كما نتساءل مع أنفسنا هل كان أولئك الواعون في مدينة يبحثون عن أمثالهم في مدن أخرى، فإن الظرف الذي نتحدث عنه، وهو ظرف الثلاثين في القرن العشرين، عرفنا بأن الشباب الوطني في مدينة من المدن، كان يبحث عن زملائه في المدن الأخرى، ويعمل على الاتصال بهم، وتنظيم العمل الوطني، والثقافي، بالتعاون معهم. وكشاهد على ذلك نرى أن جماعتنا الوطنية الصغرى في سلا، والتي كان من جملة أعضائها المرحومون : محمد حصار وسعيد حجي والصديق بن العربي والحاج أحمد معنينو، وإخوة آخرون، كانوا يتصيدون الفرص المتاحة لهم، لربط علاقات أخوية ووطنية في بعض المدن، ومنها مراكش، ومنها زيارتي رفقة المرحوم سعيد حجي، عام 1935 لمدينة مراكش، وربط علاقات متينة مع شبابها الناهض، وفي طليعته عبد الله ابراهيم، الذي أصبحنا معه منذ ذلك التاريخ، لا متعارفين فحسب، ولكن متعاونين في المجال الوطني والثقافي، ونرى عبد الله ابراهيم، يشد أزر سعيد حجي، لدى إصداره للملحق الثقافي، فيواصل الكتابة فيه في كل المناسبات. كما أن هذه الروابط التي توثقت، والأخوة التي ترسخت، جعلت عبد الله ابراهيم، ينفعل انفعالا عميقا، ويتأثر



المرحوم محمد حصار

تأثرا كبيرا، عندما وصله خبر فقيد الشباب الوطني، السلوي، المرحوم محمد حصار، فيحرر كلمة تأبينية صادقة. تمجده تمجيدا قل نظيره، ويعتبر موته فاجعة كبرى حلت بالمغرب، وبالفضيلة، وبالتضحية النبيلة، والضمير الحي. وإني أثبت هنا الكلمة التأبينية للأخ عبد الله ابراهيم، التي حررها حول أخيه وصديقه ورفيقه في النضال : محمد حصار، والتي نشرها في جريدة (المغرب) قال عبد الله ابراهيم في كلمته :

(لقد كانت حياته أطروحة حية، تفيد الشباب، وهكذا موته، أجل، كان حصار قوة ناطقة، كان إيمانا مغامرا، وقد انتهت المغامرة، فنحن نندب في شخص حصار، الموعظة المؤثرة، والأمل الضائع المتحطم. لم يكن حصار أعلم الشباب، ولم يكن حصار أنفذهم فكرا، ولا أبعدهم بصيرة في عويص المسائل، ومعقد المشكلات، إنما كان يفكر، فيؤمن، ثم هو وفي للفكرة التي اصطفاها، ذواداً عنها، مستعداً للتضحية في سبيلها، والاستماتة في نصرتها، مهما كلف الأمر، ومهما كانت الظروف.

مرحى، مرحى، يا فقيد الشباب، ذلك هو عنصر الوجود العامل، وتلك مزية الرجل العظيم، وكذلك كان حصار. كان رجلا وأكبر من رجل، كان مؤمنا، يقابل كل قوة تعترض سبيله، بابتسامة ساخرة، ثم يمضي في غير احتفال.

ليست الفاجعة فيه، فاجعتنا فحسب، إنها فاجعة الفضيلة أيضا، فاجعة التضحية النبيلة، والضمير الحي، فاجعة الأمل الباسم، ونكران الذات في سبيل الفكرة.

قليل جدا أولئك الذين يستعذبون التضحية في آراء تحققوا صحتها، وتأكدوا من يقينها، واقتنعوا بها اقتناعا، ولكن حصار الجريء، كان من هذه الأقلية في الصميم، وكان له من ضميره جيش زخار، ينفخ فيه الحياة النشيطة، ويشجعه على اقتحام المخاطر والأهوال، وعلى شفتيه ابتسامة النجاح.

وإني لأمجد في الفقيد الشاب، مبدأ من أسمى المبادئ الإنسانية وأنبلها، إني لأبارك حكمة فلسفية، ألقتها الطبيعة في شخص حصار، على فاتري الأعصاب، ومتهدجي العزائم، اختارت حصار، فقالتها في جهاده وأعماله، ولكن كان ولابد للقوة أيضا، أن تعيد نظرها على الملأ في الحق الثائر.

حمل حصار رسالته، فأداها بأمانة، وها هو قد قضى، ولكن ذكراه ستبقى في نفوس الناس، مقترنة بذكرى الإخلاص والغيرة، يمزجها شيء من الأسف عميق، لقد ذوت زهرة شبابه العامل، أنضر ما كانت، وودع أمانيه، بقلب يتفتت ألما وأسى على الحياة المسلوبة، وعين واقفة جافة، رابها أنها ستفارق هذا العالم إلى غير رجوع، إنها لضربة قاسية، لا يقوى على مكابدتها فؤاد، إنه لمصاب فادح، يحل بالشباب، يفيض أمانيا وأحلاما، وينبجس بالحياة والنشاط.

لقد تظافرت عليك الآلام، أيها العظيم، فتجرعت من مرارتها، وأنت في حشرجة الموت، وعمل فيك الوداع

الأبدي عملين، لا أستطيع أن أرجح أيهما أبعد أثرا في وسائل التعذيب والتنكيل، ولكن عزاءك في روح مجيدة، خلفتها في نفوس الناس، ستعمل فيهم عملها، وتبث فيهم الحماس والقوة (يوليوز 1937).

هكذا رثى عبد الله إبراهيم، رفيقه، وصديقه، محمد حصار، وهي قطعة اقتطعها عبد الله ابراهيم من فؤاده، ليصور بها لمن يأتي بعده، كيف كان أثر وفاة حصار على قلبه وعقله، وليترك للناشئين قطعة شعرة حزينة، كل من يقرأها يشعر بالألم الممض، والحزن العميق على وفاة حصار، وإن لم يعرفه، ولم يعش في وقته، فرحم الله حصار، ورحم الله عبد الله ابراهيم[2]، وعلى ذكر وفاة المرحوم محمد حصار، أشير إلى أنّ وفاته تركت أثرا كبيرا لدى الذين عرفوه، أو سمعوا بنشاطه الوطني الكبير، رغم صغر سنه، فرثاه الكثيرون، وكان في طليعتهم العلامة المرحوم المختار السوسي، الذي رثاه بقصيدة طنانة شجية، تجاوزت أبياتها المائة والخمسين وتعتبر من المرثيات التي لم يظفر بمثلها إلا القليلون، سجل فيها حياته النضالية، ووطنيته الصادقة، وتضحيته المثالية، أثبت هنا بعض أبياتها لأمرين اثنين : لأنها من القصائد العصماء التي يجب أن يدرسها الدارسون للأدب العربي، والشعر المغربي، ولأن الشاب المرثى (حصار) كان مثالا للشباب الناهض المثالي، الذي

(2) محمد حصار، شاب وطني من جماعة سلا، ولد في شهر يوليوز سنة 1910 الموافق جمادى الأولى 1328هـ وتوفي في يوم الأحد 6 جمادى الثانية 1355هـ الموافق 26 يوليوز 1936 بعد مرض عانى منه، وكان عمره لدى موته 26 سنة. (انظر ترجمته الوافية في الكتاب الذي خصصته له تحت اسم : (محمد حصار، ترجمته إنتاجه، ما قيل في رثائه) صدر الكتاب في 27 ماي 1971. أ.ق.

يجب أن يتعرف عليه الشباب الوطني، ليحذوا حذوه في الصدق في الوطنية، والتضحية في سبيل العقيدة.

قال المختار السوسي في مطلع قصيدته :

حييت وإن أرمست ياطيب الذكر — وخلدت خلدا باقيا أمد الدهر
ظفرت كما قد كنت تظفر دائما — بأحدوثة إن لا تزال إلى الحشر
وهل كنت إلا زهرة طاب نشرها — فزاد لها التقطير نشرا إلى نشر
وقد كنت ريحان القلوب جميعها — فها أنت فيها الآن في حفرة القبر
كأنك من كل القلوب مكون — فأي فؤاد لم يضمك في الصدر
عرفت عزوفا لا تسف إلى الثرى — فبُوِّئْتَ مَا بيْنَ الترائبِ والنحْرْ
فهل كان حصّار سوَى نفسه التي — تجول كما جال الأثير على القطر
تمازج إحساس النفوس فتغتدي — لآلامها المذياع يصدع بالأمر
وتدرك ما ينتاب أموال أمة — ذخائرها نهب المقاهي والخمر[3]
وتبصر إخلاد الشباب لراحة — تخذر منهم منبض العز والفخر
على حين أن المغرب ارتد زورقا — تقاذفه الأرياح عبرا إلى عبر
وقد أسلس الربان فيه إلى الونى — وقال دع الأقدار في سيرها تجري
وكاد إياس الشعب يدرك حده — وأوشك أن يطفو العباب على البر
وقد بلغت روح البلاد تراقيا — تلززها الأصفاد بالجنب والظهر
وكممت الأفواه عن كل أنة — وقيد كل العاملين عن السير
وعاثت وقد نام الرعاة عمالس — ضوار بأنياب أحد من الشفر
وقد أمن العاثون أن لا يحاسبوا — وخالوا أن اجتثوا الأصول من الجذر
وظنوا بأن لا عرق ينبض فانبهت — لديهم حياة المغربي إلى الحشر

(3) يشير إلى ما تزعمه حصار، الشاب من مقاومة لبيع الخمور، في ديار الإسلام، وتعرضه للسجن بسبب ذلك.

هناك رأينا منك (حصار) وثبة كما يثب التيار من مزبد البحر
قد اهتجت كالإعصار ينسف كل ما يعارضه نسف البراكين للصخر
تغل ولكن هل تغل زوابع إذا صرصرت هوجاء في مهمه قفر

إلى آخر القصيدة التي تجاوزت كما قلت 150 بيتا.

وطنية عبد الله ابراهيم وتضحياته :

لم يكن عبد الله ابراهيم وطنيا باللسان والقول، ولكنه كان وطنيا بالعمل والتضحية.

فمنذ الثلاثينيات، وهو يعمل ويجهر بوطنيته، يوجه الشباب، ويكون الخلايا، ويبث روح المقاومة في النفوس، ويواجه السلطات الباغية الظالمة التي كانت تتمثل في مراكش أكثر من غيرها، حيث كان يمثلها الإقطاعي الكبير، والباشا المسيطر، التهامي الكلاوي الذي كانت جريدة (الأطلس) الأسبوعية، لسان كتلة العمل الوطني (الحزب الوطني) تصفه بالمقيم الأسمر، مقابل المقيم العام الفرنسي الأبيض، كان عبد الله ابراهيم، معرضا دائما للسجن والإبعاد، فما حدثت حادثة وطنية، أو مظاهرة شعبية، إلا وعبد الله ابراهيم حاضر، إما مشاركا، وإما متضامنا.

عندما طالبنا بالحريات العامة، ضمن المطالب المستعجلة، والمطالب العامة، كان من الأولين، وعندما طالبنا بالاستقلال، كان من الموقعين، وعندما قامت المظاهرات كان من المتزعمين. عرفته السجون في الثلاثينيات والأربعينيات

والخمسينيات، وقضينا جميعا في سجن الدار البيضاء، ثم في سجن القنيطرة، حوالي عامين كاملين، كان خلالهما صامدا كل الصمود، وثابتا كل الثبات.

في دجنبر 1952، إثر اغتيال اليد الحمراء، للزعيم النقابي التونسي فرحت حشاد، قرر حزب الاستقلال، القيام بمظاهرات شعبية تضامنية مع تونس، ومع طبقتها العاملة، لقد اتخذ قرار الإضراب بمركز الحزب بشارع تمارة بالرباط عشية 5 دجنبر، وهو اليوم الذي اغتيل فيه فرحت حشاد، وفي اليوم الموالي صباحا، عقدت اللجنة التنفيذية للحزب، اجتماعا بمنزل المرحوم محمد اليزيدي، استدعى فيه المرحوم عبد الله للحضور في الاجتماع، حيث كلفته اللجنة التنفيذية بالاتصال مع نقابة الاتحاد المغربي للشعل، لينظم مع النقابة المظاهرات التي سيقوم بها العمال، والتي أعقبها تقتيل، وتعذيب، وسجن للطبقة العاملة، تحت زعامة المحجوب بن الصديق، وإثر هذه المظاهرات، وإلقاء القبض على الآلاف من الوطنيين، ومن ضمنهم العمال الوطنيون، كما ألقي القبض على أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، ليُحالوا على المحكمة العسكرية الفرنسية، وألقي القبض إثر ذلك على مولاي عبد الله ابراهيم، حيث أحيل بدوره على المحكمة العسكرية، بعد ما لاقي من التعذيب الشيء الكثير.

ولدى وجودنا بالسجن، كنا جماعة في زنزانة واحدة، وكنا سبعة هم الآتية أسمائهم :

محمد اليزيدي – الحاج عمر بن عبد الجليل – الفقيه غازي – أبوبكر القادري – عبد الله ابراهيم – عبد الرحيم بوعبيد – قاسم الزهيري.

قضينا سنتان تقريبا في سجن الدار البيضاء وسجن القنيطرة، وأستطيع أن ألاحظ أننا خلال هذه الفترة، لم يقع بيننا ما يكدر صفو الأخوة، رغم اختلاف الطباع، وتغير الأجواء، وكان عبد الله ابراهيم خلال هذه الفترة قليل الكلام، إن كان بين يديه كتاب فهو يطالع، وإن لم يكن بين يديه كتاب فهو يفكر، وأثناء بعض الفترات، كان يمزح مع المازحين، وكان المرحوم محمد اليزيدي يلاحظ أن عبد الله ابراهيم عندما ينتهي من أكله، يضرب يده اليمنى بيده اليسرى، وكأنه يصفق، حيث أنه كان ينفض يديه، بضرب أصابعه مع بعضها، وكنا ننبسط من ذلك أمامه وهو يبتسم، ولدى خروجنا إلى الاستراحة، كان رحمه الله، يلتقي مع المحجوب بن الصديق – في سجن القنيطرة بالخصوص – فيذهبان ويجيآن، وهما في حديث مستمر، ونقاش طويل، لم أكن أعرف مقدار الصداقة بين عبد الله ابراهيم، والمحجوب، حتى غادرنا السجن، لأجد أنهما متصادقان منعارفان، ولربما متفقان في الاتجاهات الفكرية والسياسية، وتأكد لي ذلك أثناء اجتماعات اللجنة السياسية للحزب، التي كانا عضوين فيها، والتي كانت تضم زيادة على أعضاء اللجنة التنفيذية، شخصيات من المقاومة، مثل الفقيه البصري وحسن الازقيتي وعبد السلام الجبلي ومحمد الفجيجي وعبد الرحمان اليوسفي، ومن النقابة، الطيب بوعزة

ومحمد عبد الرزاق، وادريس المذكوري، وغيرهم من الشخصيات الوطنية، مثل عبد الكريم غلاب، وامحمد بوستة، وقاسم الزهيري، وعبد الكبير بن المهدي الفاسي، والطيب بن هيمة، وادريس المحمدي، وامحمد الدويري، وأحمد النجاعي، وعبد الله ابراهيم، والمختار السوسي، وأحمد اليزيدي، وأحمد مكوار، وعبد العزيز بن ادريس، وعبد الحفيظ القادري، والدكتور محمد لحلو، ومحمد الطاهري، والدكتور محمد بناني، ومحمد بريك، والتهامي عمار.

أما أعضاء اللجنة التنفيذية إذ ذاك فهم : علال الفاسي، محمد اليزيدي، أحمد بلافريج، عمر بن عبد الجليل، محمد غازي، عبد الخالق الطريس، محمد الفاسي، أبو بكر القادري، عبد الرحيم بوعبيد، المهدي بن بركة.

لقد تكونت هذه اللجنة السياسية، بقرار من اللجنة التنفيذية، وأعطيت لها صلاحيات واسعة، لدرجة أن اللجنة التنفيذية أصبحت مسؤولة أمامها، وأصبحت تتخذ القرارات الملزمة، وتعمل على تنسيق عمل اللجان الأخرى، التابعة للحزب، في انتظار مؤتمر الحزب.

كان تكوين هذه اللجنة ضرورة حتمية، نظرا للظروف الجديدة التي وقعت بعد الاستقلال، ونظرا لضرورة إشراك جميع القوات الحية الوطنية في اتخاذ القرارات، والتوجهات السياسية، ولقد تبين بعد تركيب هذه اللجنة، وتوالي اجتماعاتها، أن هناك بعض اختلافات في اتخاذ القرارات والتوجهات، وأن مولاي

عبد الله ابراهيم، صار في جناح توجهات النقابة، والمقاومة، أكثر مما هو سائر في نطاق أعضاء اللجنة التنفيذية، ومن ذلك الوقت، وقعت تطورات وأحداث، أكدت أن عبد الله ابراهيم غير راض عن تسيير اللجنة التنفيذية، وغير متفق مع أعضائها، وتطورت الأحداث إلى أن صار عبد الله ابراهيم، هو المعبر عن تطلعات النقابيين والمقاومين، إلى أخذ القيادة في الحزب، دون اعتبار لا لمكانتهم الوطنية، ولا لأقدميتهم في العمل الوطني وأنهم هم المؤسسون الأساسيون للحزب، ودورهم في تحقيق الاستقلال، وتطورات الأحداث، حتى جاءت حركة الانفصال عن الحزب، التي تزعمها أولاً، المهدي بن بركة واليوسفي والمحجوب، ومن معهم، كما تحدثت عن ذلك بتفصيل وتدقيق، في الجزء الثالث من مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية.

والواقع أن التطورات الفكرية المذهبية، لدى مولاي عبد الله إبراهيم، صارت تلمح وتتراءى، وهو لا زال يدرس بباريس فيما بعد سنة 1947 إلى 1950 وكنت ألاحظ من بعيد، أن توجهات مولاي عبد الله، تختلف عن توجهات عبد الرحيم بوعبيد، رغم أنهما معا من حزب الاستقلال، وأن تعاونهما كاد أن يكون مفقودا في الخط الإيديولوجي، رغم أن عبد الرحيم بدوره، صار شيئا فشيئا في الاتجاه الاشتراكي، الذي تبلور مع الأيام، والشهور، والأعوام التالية.

لقد كانت تحليلات عبد الرحيم الاشتراكية، والاقتصادية، أكثر منها في المجالات السياسية المحضة، ولذلك كان أقرب

إلى حزبه من عبد الله ابراهيم، الذي كان يحلق في المجال الفلسفي المذهبي اليساري، وأحيانا البعثي، لدرجة نظرية، تكاد تكون خيالية، ولذلك كانت المسافة تتباعد مع الأيام بينه وبين الحزب، وظهر هذا جليا عندما تولي رئاسة تحرير جريدة (العلم)، بعد رجوعه من فرنسا، فكانت توجهاته فيها، لا تنسجم مع توجهات اللجنة التنفيذية، فلم يلبث إلا قليلا حتى تخلى عن رئاسة التحرير.

لقد كانت لعبد الله ابراهيم، توجهاته الخاصة، وكان مخلصا فيها بالطبع، متجاوبا مع ضميره الوطني، ورغما من أنه تعامل طويلا مع رجال المقاومة ومع النقابيين، ثم مع الجناح المنشق عن الحزب، عندما أسسوا جميعا (الاتحاد الوطني للقوات الشعبية) فقد تبين بعد سيرهم في تسيير حزبهم الجديد، أن توجهاتهم مختلفة، فانفصل عنهم أولاً عبد الرحيم بوعبيد الذي كون (الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية) وبقي المحجوب بنقابته بجانب مولاي عبد الله ابراهيم، ثم ما لبثا أن انفصلا عن بعضهما، لأن التوجهات كانت مختلفة، ولأن تطلعات المحجوب كانت فوق اللازم المقبول

هي مرحلة دقيقة في حياة مولاي عبد الله ابراهيم، كان متجاوبا فيها مع ضميره، ولم يكن متجاوبا مع الواقع الذي يعيش فيه، ولكنه بقي دائما الرجل الوطني الصادق في وطنيته، والمخلص في تعامله مع غيره.

لقد شارك في الحكومتين المكونتين بعد الاستقلال تحت رئاسة البكاي، وفي حكومة الرئيس أحمد بلافريج الثانية، لم

يشارك فيها، حيث عرضت عليه وزارة الشغل والشؤون الاجتماعية، فرفض المشاركة، نظرا لبعض الاعتبارات التي كانت لديه، هو والمحجوب بن الصديق، حيث لم يقبلا حكومة لا تتوفر في نظرهما على ما يجب أن يكون، وبعد استقالة حكومة بلافريج الثانية، التي كانت محاربة أساسا، وبالخصوص من طرف صحافة المحجوب بن الصديق، تولى عبد الله ابراهيم رئاسة الحكومة، ووزارة الشؤون الخارجية، وكانت حكومته مساندة مساندة قوية من طرف حزبه، الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وكانت تعتبر في نظر الجميع، حكومة الجناح المعارض لحكومة بلافريج، أي حكومة حزب الاستقلال، وكان إخواننا في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، يظنون أن ما لم تستطع حكومة بلافريج القيام به، ستقوم به حكومة عبد الله ابراهيم، وأنهم سيتغلبون على العراقيل التي تقع في الطريق، ولكن المباشرة في الأعمال، لم تكن طبق الآمال، لدرجة أنه في عهد حكومة عبد الله ابراهيم، ألقي القبض على زعيمين من أخص زعماء الاتحاد، هما : الفقيه البصري، وعبد الرحمان اليوسفي، بتهم ربما كانت ملفقة، وبمثل هذه الاتهامات، وهذه العراقيل، صار الواقع الحقيقي ينكشف أمام الجميع، وأقيلت حكومة عبد الله ابراهيم، مثل ما أقيلت سابقتها.

لا أود أن أتوسع فيما قيل إن حكومة عبد الله ابراهيم، قامت به أو ستقوم به، ولكني أكتفي بهذه الإشارة، انتظارا لفرصة أخرى، تسمح بالتوسع في الكلام.

أشـرت مـرة أخـرى، إلـى أن الـخـلاف بـيـن طـرفـي حـزب الاستقلال، سواء في حكومة بلافريج، أو حكومة عبد الله ابراهيم، لـم يأت إلا بأضرار، كان يتخوف منها الجميع، وكانوا يشتكون منها، وينذرون وينذرون، مشفقين على مستقبل المغرب.

وأريد بهذه المناسبة، أن أثبت رسالة كان بعثها المرحوم قاسم الزهيري، إلي صديقه عبد الله ابراهيم، تدعوه إلى العمل على توحيد الكلمة، والقضاء على الخلاف، مهما كانت أسبابه، وهذا نص الرسالة : أخي الأعز عبد الله ابراهيم –تحية زكية– وبعد :

لاشك أنك لاحظت شدة قلقي، من التوتر الذي يزداد يوما بعـد يـوم، بيـن إخواننـا في الـحكـومـة مـن جـهـة، وبيـنك وبيـن الاتحاد المغربي للشغل، وحركة المقاومة، من جهة أخرى. ولا مـجـال هـنـا لـتـفـصيـل أسباب هـذا الـخـلاف، ولا لتحديد المسؤوليات، فكل من تتبع الأزمة الحكومية الأخيرة، يعرفها.

كنا نأمل أن تسفر هذه الأزمة، عن تشكيل أداة حكومية من حـزب الاسـتـقـلال، تـتـمـتـع بـثـقـة الـمـنـظـمـة الـواعـيـة فـي الـبـلاد، وحـمـاس الـجـمـاهـيـر، لـتـحـقـق لـلـمـغـرب الأهـداف والـرغـائـب الوطنية التي رسمها الحزب وتلك الهيآت، وكان متوقعا أن نبقى متضامنين أكثر مما مضى، لمواجهة المشاكل العظيمة التي تتخبط فيها بلادنا، فحصل نقيض ما كنا نأمله، إذ شاعت الفرقة في صفوفنا، وانقسم المكافحون الذين تحملوا جميعا تضحيات جسيمة في سبيل استقلال بلادهم.

وكنت شخصيا أعلل النفس بإمكان هدوء العاصفة، وإعادة ربط الاتصال بين مختلف القوى المنظة في البلاد، لكنني لاحظت أن الحالة تسير من سيئ إلى أسوأ، وأن النفور أوشك أن يصبح عداء سافرا، والارباك ينتشر يوما فيوما بين الشباب الواعي، والحيرة تسود بين الجماهير التي لا تدرك خبايا الانشقاق الحاصل في صفوف العاملين.

وأخشى ما أخشاه أن تتطور الحالة –وقد بدت بوادر ذلك– إلى صراع وتطاحن، يجعلان العناصر الحية في هذه البلاد، وجها لوجه، في الوقت الذي توجد فيه الحركات التحريرية، هدفا لسهام أعداء حرية المغرب، واستقلاله في الداخل والخارج، وفي ظروف هي من أدق وأحرج الظروف، في تاريخنا القومي، وتقتضي منا التغلب على نزاعاتنا، والوقوف سدا منيعا، ضد المؤامرات التي يشعر الكل بخطورتها، أعتقد أن الخلاف الراهن بين القوى الواعية في البلاد، مهما كانت درجته وأسبابه، لا ينبغي أن ينسينا ما تستهدف إليه البلاد من خطر عظيم، قد لا يستفيد منه إلا أعداء الحركة التحريرية، والأجانب الذين يتربصون بها الدوائر، ولا أظن أن جميع الإمكانات قد استنفدت، لإيجاد حل للخلاف، وأن كل أمل في التوفيق قد انتهى، بل أن الأمل معقود عليك وعلى جميع العاملين الواعين بمسؤوليتهم، لبحث كافة الوسائل الكفيلة برأب الانشقاق الذي بدأ في الصفوف، وأخذ في الاتساع يوما بعد يوم، لصالح الخصوم والأعداء، فمن واجبنا أن نتدارك الأمر

في الابتداء، ونوفر على الحركة التي ينتمي إليها جميع العاملين، امتحانا قاسيا، وعلى البلاد التي نخدمها محنة شديدة.

وإليك في الختام، أصدق عواطف الود والإخلاص، من أخيك : قاسم الزهيري.

لقد كتبت هذه الرسالة في 12 يونيه 1958.

هذا ما كتبه قاسم الزهيري أواسط يونيه 1958، وهذا ما كنا نتألم منه جميعا، وما كتبته بدوري لإخواني جميعا في الجناحين، ولكن شاء الله أن لا تتغلب الحكمة على الاندفاع غير المتبصر، فكانت الفرقة، وكان إعلان الانفصال سنة 1959، وتكون الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وشارك فيه بالإضافة إلى المنفصلين من الحزب، ثلاثة أشخاص من حزب الشورى والاستقلال، هم : أحمد بن سودة، وعبد الهادي بوطالب، والتهامي الوزاني، ولم تمض إلا مدة يسيرة حتى انفصل هؤلاء الثلاثة عن الاتحاد، ودخلنا في صراع مع بعضنا بعضا، وجاءت سنة 1960 وما بعدها لتقع تطورات وأحداث قاسية، قاسي منها إخواننا الاتحاديون، ما قاسوا من محن وسجون، ومحاكمات وآلام، وجاءت سنة 1970 ليكون المغرب في حالة لا يحسد عليها، وفي غشت أو قبله بقليل في نفس السنة 1970 زارني في بيتي محل ابني المرحوم الدكتور عبد الرحمان القادري، مرسلا من قبل المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، يدعو إخواني في

حزب الاستقلال، والزعيم علال الفاسي، إلى تلاقي ثنائي بين حزب الاستقلال، والاتحاد الوطني للقوات الشعبية، لدراسة الأوضاع في المغرب، واتخاذ ما يتطلبه الموقف الوطني السليم، من فكر موحد، لمواجهة الأوضاع المتردية في بلادنا، ومواجهتها بسياسة موحدة، ووقع الاتفاق على وضع مشروع لما سيسمى (بالكتلة الوطنية) وكان حاضرا في هذا الاجتماع الأول بمنزلي (ببطانة) في سلا : الزعيم علال الفاسي، وأبو بكر القادري، وامحمد بوستة، ومحمد الدويري، عن حزب الاستقلال، وعبد الرحيم بوعبيد، ومحمد الحبابي، وعبد الله ابراهيم، والمحجوب بن الصديق، عن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وتكلف الزعيم علال الفاسي بتحضير مشروع الميثاق الذي تقوم على أساسه الكتلة، وفي الاجتماع الثاني، درسنا نص الميثاق، ووافق عليه الجميع، ودخلنا في مرحلة جديدة من العمل الوطني، موحدين على أساس الميثاق، وصارت، اجتماعاتنا تتوالى، تكسوها روح الوحدة والتضامن، سواء في المطالب السياسية الإصلاحية، أو في التضامن مع الإخوان الذين كانوا يعرضون للاعتقالات، والمحاكمات، ومشاركة بعض إخواننا المحامين في مؤازرتهم والدفاع عنهم، ومضت أيام وشهور، واجتماعاتنا منتظمة، وقراراتنا موحدة، ولكنا لاحظنا أثناء بعض اجتماعاتنا، أن أفكار إخواننا الاتحاديين غير منسقة، وغير موحدة، فجانب فيه : عبد الرحيم بوعبيد، ومحمد الحبابي، وجانب فيه عبد

الله ابراهيم، والمحجوب ابن الصديق، لم نكن نتدخل فيما لا يعنينا، ولا يعني الكتلة، وتعاملنا مع الموقف، وكأننا لم نلاحظ أي شيء. وذات يوم وصلتنا رسالة من عبد الله ابراهيم، تدعو إلى توقيف عمل الكتلة إلى أجل غير محدد، نظرا لظروف خاصة طارئة، لم نعرف عنها أي شيء، لأنها لا تتعلق باجتماعاتنا في الكتلة، ولكنها تتعلق بالاتحاد، واستنشقنا من دون حجة لدينا، أن الاخوة الذين يحضرون معنا من الاتحاديين، ليست أفكارهم متحدة في بعض القضايا، وهكذا توقفت أعمال الكتلة برسالة من المرحوم عبد الله ابراهيم.

بعد تكوين الكتلة بمدة، وقعت اتصالات ومذاكرات مع الملك، لإيجاد حل للأزمة التي كانت مستحكمة، وكانت الأمور ربما ستسير في خط إيجابي لحل الأزمة الحكومية، ولكن عراقيل ودسائس في الطريق حالت دون ما كانت ترغب فيه الكتلة، وجاءت أحداث الصخيرات، ثم أحداث الطائرة التي ضربت لإسقاطها أثناء وجود الملك فيها، وكان وراء ذلك كله كما سيتضح، وزير الداخلية الجنرال أوفقير، إلى آخر الوقائع التي وقعت، والأحداث التي أضرت بالبلاد سنة 1975 لتوضح أن أعضاء الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، غير متفقين في الاتجاهات، وأن عبد الرحيم بوعبيد، ومن معه في واد، والفقيه البصري وعبد الله ابراهيم، والمحجوب في واد آخر، وهكذا انعقد مؤتمر 10 يناير 1975 ليعلن فيه انفصال عبد الرحيم بوعبيد، عن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وتكوين (الاتحاد

الاشتراكي للقوات الشعبية) وسارت الخلافات تتوالى بعد الانفصال عن حزب الاستقلال، وحصل ما كنا نحذر منه، وما نخاف أن يقع. وكان عبد الله ابراهيم مع الأسف الشديد مع جناح المنفصلين أولا، ثم الذين لم يسيروا مع ميثاق الكتلة الوطنية، وكان من جملة المنضوين في الاتحاد الاشتراكي الجديد، الاخوة : محمد منصور، وعبد الرحمان اليوسفي، والوطني الصادق عمر الساحلي، وعمر بنجلون، وعبد اللطيف ابن جلون، ومحمد اليازغي، وغيرهم من الوطنيين، وبقي متشبثا بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية، عبد الله ابراهيم والمحجوب بن الصديق، الذي ما لبث بعد مدة، حتى اختلف مع مولاي عبد الله ابراهيم، والأمر لله أولا وآخرا، رحم الله مولاي عبد الله ابراهيم وأسكنه مع الصديقين والصالحين.

أبو بكر القادير

21 شعبان 1426، 26 شتنبر 2005

بعض ما كتبه عبد الله ابراهيم
في الصحف الوطنية
في الثلاثينيات والأربعينيات

قصيدته (خواطر نفس)، (رسالة المغرب) أبريل 1943.

هل للمغرب ثقافة حديثة ؟ العدد 3 و4 من ملحق المغرب، أبريل 1938.

بين البحتري، وأبي فارس الفشتالي. العدد 9 و10 من الملحق جوان 1938.

صورة إسلامية : (الندماء الثلاثة)، العدد 81 من «المغرب» (جوان 1938).

من تراثنا الإسلامي : (عذراء المرية)، العدد 14 المغرب غشت 1938.

من ذكرى إلى ذكرى : الملحق عدد 1 أبريل 1937.

ثورة العقل : الملحق 6 ماي 1938.

إبدال الحروف في اللهجات : الملحق 7 ماي 1938.

صور إسلامية : شهيد المغرب، 12 جوي 1938.

مكانة المرأة عندنا : رسالة المغرب، العدد 4 دجنبر 1942.

التعليم الإلزامي : رسالة المغرب، العدد 1 غشت 1947.

اتجاه التاريخ : عن عيد العرش، رسالة المغرب، العدد 146.

الحركة الصوفية : المغرب الجديد، العدد 12 يونيه 1936.

الحركة الصوفية : المغرب الجديد، العدد 13 يونيه 1936.

تجربة فنان : مترجمة عن (بودلير) رسالة المغرب يبراير 1948.

عبد الله إبراهيم
الوطني، والمثقف الملتزم

أيها الاخوة الأبرار.

مضت أربعون يوما على فقداننا لأخينا الوطني الصادق، مولاي عبد الله إبراهيم رحمة الله عليه، والواقع أن فقدان عبد الله إبراهيم، لا يعتبر فقدانا لشخصية إنسانية فحسب، ولكنه فقدان لوطنية صادقة، وقيم مثلى، ولسلوك في الحياة مستقيم.

فالوطنية ليست دعاوي يدعيها الإنسان، وليست مطلق انتماء لحزب، وليست وساما يعلق في الصدر، ولكن الوطنية الحق، هي التزام وأخلاق، وسلوك في الحياة.

ولقد كان أخونا عبد الله إبراهيم، من هؤلاء الملتزمين الأخلاقيين، المتسمين بالسلوك الحسن. عرفت عبد الله إبراهيم منذ سبعين سنة خلت، فكان من تلك الزمرة الطيبة الصالحة التي خطت الطريق للأجيال، والتي استقت من ذلك المنبع الفياض، فياض السلفية التجديدية، الرافضة للجمود، والتخلف والخرافات، والعاملة على التجديد في الفكر والعمل، ومكافحة التخلف والاستعمار، عرفته شابا نشيطا

متطلعا لحياة أفضل، وعرفته كهلا مثقفا ناضجا عرف طريقه فسلكها بعزيمة وإرادة، وعرفته شيخا حنكته التجارب التي مر منها، وأدرك الصالح والطالح فيها.

لم يكن عبد الله إبراهيم من تلك الفآت الشبابية التي تمشي في الحياة على غير هدى، ولم يكن من أولئك الشبان المقلدين التابعين، ولكنه منذ شبابه كان يفكر ويبحث، ويدرس ويتأمل، ويقرأ ويستفيد، ويطالع ويعتبر، ويراجع ويختبر.

كانت مطالعاته متنوعة، لا تقتصر على الكُتُب المدرسية، ولا على المواضيع المحددة، ولكنه يجول هنا وهناك، فمن الأدب إلى التاريخ، ومن الشعر إلى البيان، ومن الترجمة إلى اللغات الحية، ومن نهضات الأمم، إلى تطورات الشعوب.

كان نهما في مطالعاته إلى الحد الأقصى، وكانت مطالعاته تنعكس على ما يكتبه ويحرره في بعض الجرائد والمجلات.

لقد تعددت مطالعاته وتنوعت، وكان لها أثرها في توجهاته الثقافية والفكرية، وحتى المذهبية، كان ينشد ثقافة عامة غير محدودة، وكان يؤمن بأن الثقافة ليست حكرا على طائفة معينة، ولا على جنس خاص، ولكنها ثقافة إنسانية، يستفيد منها القريب والبعيد. والوطني والأجنبي. وكان فكره ثائرا على الجمود، ويعتبر الجمود معادلا للموت.

لم يكن عبد الله إبراهيم مثقفا نظريا، ولكنه كان مثقفا عاملا، فمن خلال ثقافته، خاض معركة الحياة، واستطاب

النضال الوطني، وارتبط بالذين سبقوه ببعض سنوات، في مجال الكفاح، فخاض معركة الكفاح بقوة وعزيمة، وإرادة صلبة، وقاوم الرجعية، والخيانة المتحالفة مع الاستعمار، بصلابة وإيمان.

لقد تساءل في بعض ما كتبه حول الثقافة فقال : ما الثقافة ؟ وماذا تكون الصفات العامة لها ؟ لاشك أننا لا نعني فنا مخصوصا، وفرعا من فروع المعرفة البشرية واضحا محدودا، إذا ذكرنا كلمة الثقافة، وإنّما نعني المشاركة إلى حدّ ما، في جميع العلوم، وجميع الفنون، والتعمق في أطوار الحضارات، والأحداث التاريخية الحاسمة في حياة البشر.

ثم يتحدث عن المثقف الحقيقي، الذي لا يكتفي ببعض المطالعات في الكتب الممتعة الهازلة، فيقول : لعل أخصّ صفات المثقف، هو هذا الاطلاع العميق، وهذه القدرة على التحليل، وصدق الاستنتاج، وسلامة المقارنة، في معالجة المشاكل والشؤون. وهكذا يوضح لمن يريد أن يتعرف عليه هو نفسه، كمثقف متطلع إلى أن يصل إلى صفوف المثقفين البارزين، الذين ظهروا في فرنسا وألمانيا، أمثال ديدرو ومنطيسكيو، وبوالو، وهوحمان، وليسانغ، وشاروغوت، والذين قاموا بنهضة علمية، شعّت بسببها جوانب من المعرفة العامة. وهكذا وهو لازال في طور شبابه، كان له هذا الطموح الذي سار إليه بخطى ثابتة، بمطالعاته، وجهده الشخصي، لا عن طريق المدرسة، والتعليم النظامي، لأنه كان يعتقد أن (الثقافة

لا يمكن أن تكتسب بطريق النظام المدرسي). ويزيد في تعريفه للثقافة الحقيقية في نظره فيقول : (إن الثقافة سلسة غير محدودة، ولا تعرف في معناها الموضوعي تخوماً جغرافية، أو أوضاعاً يصطلح الناس عليها، وهذا أبرز فارق بينها وبين الاختصاص، الذي يعنى بفروع من المعرفة محدودة) ويقول : إن الاستقلال في الثقافة أمر غير معقول، وإذا قلنا ثقافة مغربية إسلامية، فلسنا نقصد بذلك المعنى الموضوعي، وإنما نقصد معنى ذاتيا للثقافة، تلونت بلونه) كما قاوم التقاليد القديمة المستكنة في عقول الكثيرين، وطالب المثقفين أن يخرجوا من صمتهم وتخوفهم، وأن يعبروا عما يختلج في صدورهم، ويريدونه لوطنهم ومجتمعهم، من تطور ضروري، في كثير من تصرفاتهم، فالتطور ضروري وأكيد، ولابد أن نسير فيه. ولكن أي تطور نريد، إنه التطور الذي يرتكز على الفكر المستقيم، الذي يسير في طريق التقدم، والتحرر، من التقاليد البالية، التي تُبقي المجتمع مرتبطا بالخرافات والأوهام، يجب على المثقف الملتزم أن يصارح بأفكاره دون تخوف، وأن يلعب دوره في تطوير المجتمع لما هو أفضل، وأن تكون ثقافته عملية، وفاعلة، لا مُستكينة، ولا فاصلة، ولا يائسة. يقول في مقال له تحت عنوان : ثورة العقل :

«أعتقد أن الكاتب المغربي اليوم، مصاب بمرض لا يتهيأ معه إلى أن يكون له رأي مفهوم، في هذه الحياة الذي أصبح يحياها اليوم، وهذا المرض هو عدم إخلاصه للحقيقة التي يدركها في نفسه، ولكنه يتحرج من الظهور بها أمام الناس، إلى أن يقول : الوسط المغربي فيه كثير من النقائص، فهو لا يُرْضِي أمل أحد من

الكتاب، ومعالجة هذه النقائص، تثير مشاكل متباينة التباين كله بين الطبقة المفكرة في البلاد، وأحد منهم له رأي خاص في هذه المعالجة، يدافع عنه، ويعتز به، ولكنه لا يستطيع أن يطالع به الناس، فينكمش في نفسه، معتزلا الحياة الفكرية، وهذه أكبر جناية يجنيها إنسان، يقول : الذي ينقص نهضتنا الفكرية، هو الحرية اللازمة، ليستطيع الإنسان أن يصدع بما يعتقد أنه الحق في الحياة».

لقد عالج فيما كتبه كثيراً من المواضيع المختلفة، بما فيها قضية المرأة، وقضية التعليم الإلزامي، وقضايا النقد، وإبدال الحروف واللهجات. كما عالج موضوع القصة، وموضوع الحركة الصوفية، وتعاطى للترجمة والشعر، فترجم كلمة للكاتب الفرنسي (بودلير) تحت عنوان : (تجربة فنان). ومن شعره قصيدة تحت عنوان : (خواطر نفس)[1] جاء فيها :

ارسُم لنفسك خُطة	أوّل بها معنى الحياة
واعمل لها ما عشتَ لا	يصرفك من قلب هواه
واحرص عليها واحبُها	بالعطف منك والانتباه
ما أجمل الدنيا تعيـ	ـش بفكرة فيها ومَبدأ

* * * *

كَوْنٌ صغير أنت فيـ	ـه دقائق الكون الكبير
كالماء منه قطرة	تستوعب البحر الغمير
ها ذي العوالم طوع رأيـ	ـك من جليل أو حقير
ما أجمل الدنيا تعيـ	ـش بفكرة فيها ومَبدأ

(1) (عن رسالة المغرب) العدد التاسع، 5 أبريل 1943.

أنت مُـجبر كـمـخـيّـر	ومُـخـيـّر كالمجـبَـر
أنت والْـوَرَى نـظْـمٌ	صـغـار مـن الـنظـام الأكبر
فـخـذ الحيـاة كـمـا أتـتك	وعش بـرأي نـيِّـر
مـا أجـمـل الـدنـيـا تـعيش	بـفـكـرة فـيـهـا ومـبـدَأ

لم يكن مولاي عبد الله من أولئك الوطنيين الذين يظهرون في أيام الرخاء واليسر، ثم يغيبون أيام الشدة والضيق، والسجن والنفي، ولكنه دائما في الواجهة، واجهة المقاومة، والكفاح العملي.

عرف السجون والمنافي الأيام والشهور ذوات العدد، فكان مثال الصابرين الصادقين، قضيت وإياه سنتين كاملتين في بعض السجون، فلم أره في أي يوم من الأيام متبرما ولا متضجرا. مرت عليه محنة كوميسارية البيضاء، في سنة 1952 ذاق فيها ألوانا من العذاب، فما نكص على عقبيه، وما وهن وما ضعف.

وبعد الاستقلال تحمل مسؤوليات مختلفة، سواء في النطاق الحزبي الشعبي، أو في النطاق الحكومي، فما أغرته وظيفة، ولا غيرته سلطة، ولا دخلته أنانية.

أخلاقه هي أخلاقه، وشيمه هي شيمه، وابتسامته هي ابتسامته، وصداقته هي صداقته.

لا أدعي أنني كنت متفقا معه دائما في بعض توجهاته السياسية أو المذهبية، ولكنني كنت أحترمه، وأقدر صدقه وصداقته. سبعون سنة من المعرفة والتعاون في المجال الوطني،

هي خفيفة في اللسان، وهي ثقيلة في الميزان، وهي تؤكد أن المنبع الوطني الذي يكرع منه الصادقون، يبقى دائما ينبض ويسقي الذين أخذوا منه الشربة الأولى، فلا يضرهم عطش، ولا يصيبهم ظمأ.

إن حياة أخينا مولاي عبد الله إبراهيم، ستبقى دائما أمثلة، تستفيد منها الأجيال، ويسير في ضوئها الملتزمون الصادقون، والوطنيون المخلصون.

رحم الله أخانا عبد الله إبراهيم، وأسكنه فسيح الجنة مع الصادقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المهدي بن بركة كما عرفته[1]

ترجع معرفتي بالمرحوم المهدي بن بركة إلى سنة 1936، وهو في السادسة عشرة من عمره، ذلك أنني في غمرة تحدي الشباب الوطني الإسلامي للاستعمار، عملت مع بعض إخواني على تأسيس جمعية إسلامية غير رسمية للشباب المسلم، أسميناها (جمعية المحافظة على القرآن الكريم) كان لها دور في توعية الشباب السلوي، وتوجيههم الوطني الإسلامي، وانخرط فيها بعض الشبان من الرباط، أذكر من بينهم المرحومان : محمد ملين، ومحمد الركراكي.

وفي تلك الأثناء، وصلتني رسالة صغيرة قصيرة من المرحوم المهدي ابن بركة، يطلب تسجيله في الجمعية، وهي موقعة التوقيع الآتي : (المهدي بن بركة) خديم الإسلام والمسلمين، وكان اسم المهدي إذ ذاك، بدأ يتحدث عنه أقرانه كتلميذ متفوق، نابغة في دروسه.

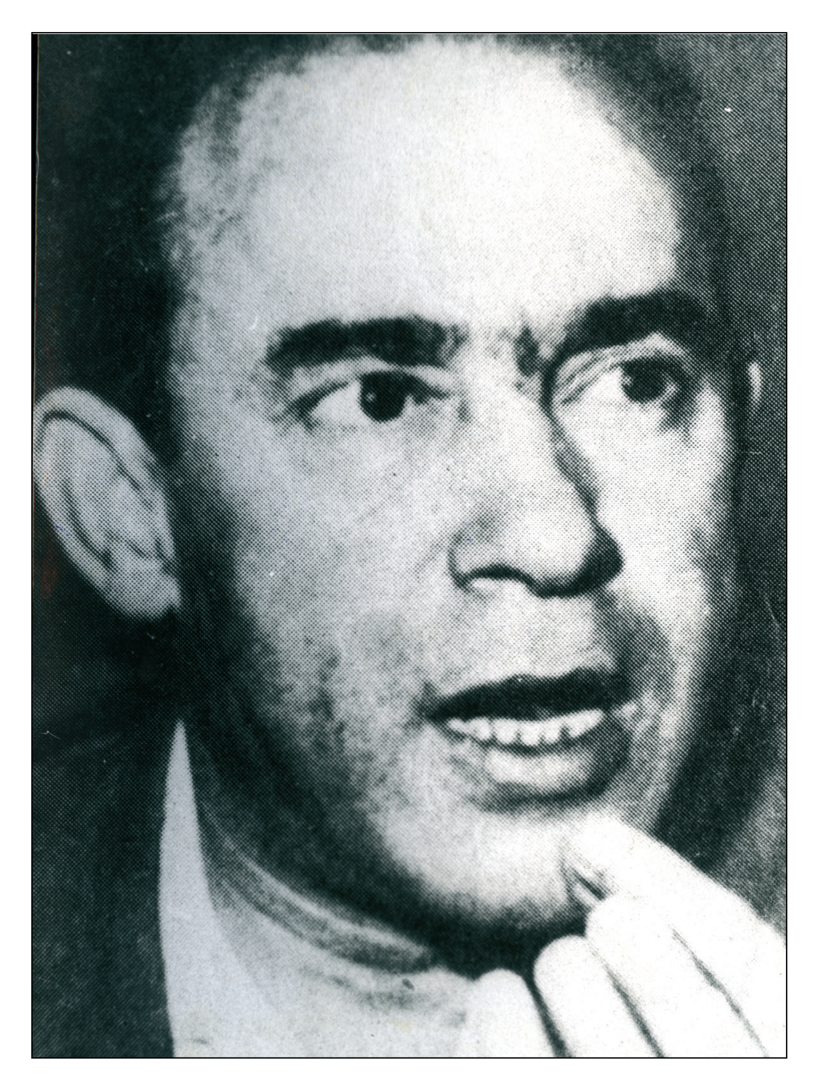
وأواخر الثلاثينيات وبداية الأربعينيات، سافر المهدي إلى الجزائر، لإتمام دراسته العالية في الرياضيات، وبعد رجوعه من الجزائر، أوائل الأربعينيات، لقيته في شارع محمد الخامس بالرباط، وكنت كتبت مقالة في جريدة التقدم، حول الإصلاح

(1) حديث إرتجالي ألقي في قاعة من قاعات البرلمان، بدعوة من فريق الإتحاد الإشتراكي في البرلمان.

الاجتماعي، فبادر أول لقياي له، بأنه قرأ المقال، وأنه يفكر في الموضوع نفسه. ربما كان هذا التعارف الوطني الأول بيني، وبين المهدي، ثم زاد عندما كنت ألتقيه أحيانا لدى المرحوم محمد اليزيدي، وفي هذه الأثناء، كنا في الحزب الوطني، نستقطب الاتصال بالشباب والطلبة، ونعمل على استقطاب الجمعيات الأدبية الموجودة، مثل جمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي يوسف، والنادي الإسلامي الأدبي بسلا، وهكذا استطعنا في معركة انتخابية، أن ينتخب المهدي بن بركة رئيسا لقدماء تلاميذ ثانوية مولاي يوسف، وينهزم معارضه السيد محمد ملين، الذي كانت له توجهاته الخاصة، كما استطعنا أن ننتخب المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، خليفة لرئيس النادي الأدبي الإسلامي بسلا، ليصبح عمليا هو الرئيس الحقيقي العملي. كانت حركة الشباب الوطني نشيطة، وزاد نشاطها وتقوى، عندما تولى تسيير هاتين الجمعيتين، شابان وطنيان، في حجم المهدي بن بركة، وعبد الرحيم بوعبيد.

ابتداء من هذا التاريخ صارت تتقوى الاتصالات بيني وبين المهدي، في المجال السياسي الوطني، وزادت إحكاما وثقة وتعاونا عندما انخرط في الطائفة، وهي الجناح السري في الحزب، بترشيح من المرحوم اليزيدي.

أصبح المهدي يحتل مركزا هاما في الحزب، نظرا لنشاطه الدائب، في مجال الشباب بالخصوص، وصار اسمه يتردد على الألسنة، كشاب متحرك، له تأثير كبير على الشباب، وعلى الطلبة، وعلى تنظيمهم وإعدادهم للمستقبل الذي ينتظرهم.



الأستاذ المهدي بن بركة

وجاءت أحداث المطالبة بالاستقلال 11 يناير 1944، ليكون المهدي بن بركة من الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال، وليكون من المؤطرين الأساسيين، للمظاهرة الحاشدة التي وقعت في الرباط، إثر إلقاء القبض على الزعيمين : الحاج أحمد بلافريج، ومحمد اليزيدي، والتي كان هو من جملة المعتقلين إثرها.

لقد جمعنا سجن الرباط، وكان المهدي يحظى بوظيفة في السجن، حيث أن مدير السجن الفرنسي، لما علم أنه أستاذ كفء في الرياضيات، طلب منه أن يعطي دروسا خصوصية في الرياضيات، لابنه أو ابنته، وهكذا عينه مكلفا بما كانوا يسمونه (بالكانتينة) وهذه الوظيفة تتيح له الاتصال بالسجناء، لتسجيل ما يحتاجونه من مبيعات، مثل السكر والمربى والدخان وما شاكل ذلك، وهذا فتح له باب للاتصال بنا. وجاء عيد الأضحى، وكانت العادة أن تذبح بعض الأكباش في السجن، لتقدم لحومها للسجناء بمناسبة العيد. وفي يوم العيد، ونحن أربعة سجناء في زنزانتنا : أبو بكر القادري، عبد الرحيم بوعبيد، قاسم الزهيري، محمد البقالي، إذ يفتح باب الزنزانة علينا، ليدخل المهدي ـ بعد أن سمح له مدير السجن بذلك ـ حاملا في يده صحنا صغيرا مملوءا بالكبدة المشوية، لنتناولها معه.

كانت مفاجأة سارة يوم العيد، تناولنا فيها طعامنا، وغنينا وتحدثنا، ونسينا جو الاعتقال، ولو لساعات محدودة، وزادت العلاقات توطدا بعد ذلك، أي بعد خروجنا من السجن، حيث تجند الجميع للعمل الوطني المتنوع، في تكوين الخلايا الوطنية، وتربية الشباب، وتنظيم الحركة النسوية، وتأسيس الجمعيات الموازية، إلى غير ذلك. وهنا ظهرت مواهب المهدي المتعددة،

وحركته الديناميكية، ونشاطه المثالي، وشخصيته القوية، ومقدرته على العمل المتعدد الأشكال والألوان.

رجل لا يعرف الركود، ولا يستسلم للراحة، ينتقل من اجتماع إلى اجتماع، يكتب ويحرر، ويسامر ويحاضر، ويناقش ويجادل، يجتمع مع الشباب، ويسامر في الخلايا، ويخطب في التجمعات، ويشارك في المؤتمرات، تراه في دراجته ينتقل من مكان إلى مكان، هو في منزله يستقبل الزائرين، وفي إدارة الجريدة (العلم) يحرر المقالات، أو يوجه المحررين، ثم هو في التليفون يعطي التعاليم، ولدى الصحفيين يعطي تصريحات لمراسلين مختلفين، ويكون لدينا اجتماع للجنة التنفيذية، أو لمجلس المفتشين، أو المجلس الأعلى للحزب، لابد له من المشاركة في كل هذا، لا مشاركة رمزية، ولكن مشاركة عملية فعالة.

كنت أترأس مجلس المفتشين، فيجلس بجانبي، ينصت لتقاريرهم، حتى إذا أكملنا المناقشات، وأعطينا التعاليم، أخذ الكلمة، ليعقب على كل ما سمع، وليؤكد على تطبيق القرارات التي اتخذت، ويحذر من الإهمال والتقاعس.

ويغادر مكان الاجتماع، وهو متأبط حقيبته التي سجل في أوراقها كل ما راج من أفكار، وما اتخذ من قرارات، وما يجب تبليغه للمناضلين المختلفين.

سافرت وإياه المرات العديدات، إلى مختلف الجهات والفروع، وكنا نأخذ الحافلة مع المسافرين المختلفين، فلم تكن لنا سيارات إذ ذاك، والمهدي عندما يركب السيارة، يلقي نظرة

على الأوراق الموجودة في محفظته، ثم يأخذ كتابا أتى به معه ليقرأه في السيارة، ثم إن كان السفر طويلا، يغطي رأسه (بقب جلابته) ثم يغط في النوم، فيستريح، حتى إذا وصلنا للمدينة التي نحن قاصدوها، استيقظ نشيطا، وكأنه لم يأخذ السيارة إلا بضع دقائق، هو يتتبع الأخبار في الصحف، والمجلات، والإذاعات، ولا يغيب عنه أي حدث، وترى اهتمامه منصبا على أحداث بلاده، وعلى ما يجري في العا لم من أحداث.

عرف طريقه، وقدر مسؤوليته، وآمن بأن حزبه متحمل لمسؤوليات جسام، لابد له من أدائها، وأن بلاده تنتظر منه الكثير، لتحقيق ما تطمح إليه، وما تريده من انعتاق وتحرر، ثم بناء وتقدم.

كان يتابع باهتمام ما تقوم به بعض الشعوب التي تحررت، أو التي في طريق التحرر، ويريد أن يسابقها، وكان يتعبه أن لا يجد استجابة من الذين لا يشعرون نفس شعوره، ولا يريدون أن يسابقوا الزمان الذي إن لم تقطعه قطعك.

والمهدي في كل أعماله وتخطيطاته مهما تعددت وكثرت، منظم في أعماله، حريص على تطبيق كل ما في مذكرته، مهما تعددت المواعيد، وكثرت المهمات، هو فريد من نوعه في هذا المجال، ديناميكي في كل الأعمال.

يقول في بعض ما كتبه : (إن الحالة التي توجد عليها بلادنا الآن، لا تحتاج إلى الثرثرة، ولا يكفي لعلاجها الكلام المنمق، والخطب المزوقة، إنها تحتاج إلى ثورة عميقة، هي التي يجب أن

نقوم بها، ولكي تتحقق يجب أن نقودها، كيف يمكن إذن أن نبذل هاته الحالة المزرية، ونقلب هذه الأوضاع الفاسدة، ونزيح هذا الغشاء الثقيل، ونفرقع هذه القشرة التي تغلفنا وتحجبنا عن العالم ؟

هكذا كان المهدي بن بركة، يفكر، ويعمل، ويسير في حياته النضالية، هو ثوري على الظلم، وعلى التخلف، وعلى كل ما يعيقه عن السير إلى الأمام، ويريد أن يزيح تلك العوائق عن الطريق.

قد يقول بعض القائلين : إنه كان يحلم، لأن العوائق متعددة ومتكاثرة، ومختلفة، فيها عوائق أجنبية استعمارية، وفيها عوائق داخلية مزمنة.

ولربما كانت تقديراته للتغلب على هذه العوائق. فيها بعض الشطط، وفيها بعض الاندفاع، وفيها بعض الخلاف مع رفقائه في العمل، ولكنه كان يريد أن يتخطى ذلك ويسير.

قد تكون حساباته وهو الحيسوبي الماهر خاطئة، وقد تكون بعض آرائه استعجالية، ولكنه مصر على القفز إلى الأمام، مهما كان الأمر.

والشيء الذي لا يقبله ولا يستسيغه، هو أن يسبقه الغير، مهما كان ذلك الغير، فاقدا للبصيرة المتحكمة، متحليا بالأنانية والادعاء، والسير في الخيال والعمى.

أقول هذا وقد تابعت الأحداث التي وقعت بعد الخطاب الذي ألقاه المهدي في بعض التجمعات الحزبية، والنتائج التي وصلت إليها بلادنا، والتي أدت إلى الفرقة التي كان يخشاها

المهدي نفسه، والتي دعا إلى الوحدة وقال عنها : (إنها هي التي كوناها وخلقناها خلقا وهي طريق النجاح).

عرفت المهدي بن بركة خلال عشرين سنة كاملة، سواء منها في الأعمال الحزبية المختلفة، أو خلال ترأسه للمجلس الوطني الاستشاري، الذي كان يترأسه باقتدار كبير، ومعرفة شاملة لما تقوم به الحكومة إذ ذاك، وكان ذلك المجلس تجربة مفيدة وسليمة، حققت كثيرا من المطامح، ودربت كثيرا من الأفراد على دراسة الأوضاع، ومناقشتها مناقشة جادة ومثمرة، ولولا عوارض طرأت، لم يكن المهدي خالقها، أو المصر عليها، حسبما عشتها بنفسي، لبقي ذلك المجلس يؤدي واجبه الوطني إلى النهاية.

أيها الاخوة.

من الواجب أن لا نترك هذا الحديث دون أن أشيد وأعترف بأن علاقتي الشخصية والأخوية معه، لم يشبها أي تغيير، فلقد كان الصديق المتميز، والرفيق الموافق، والشاب الوطني المثالي، لقد تآمروا ضده، فاختطفوه، وعذبوه، وقتلوه، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.

أيها الإخوة.

الحديث عن المرحوم المهدي بن بركة يطول ويطول، ولا تكفي فيه دقائق أو ساعات، لأنه حديث عن رجل لا يجود الزمان بمثله إلا نادرا، ولأن خسارة بلاده فيه، تعتبر من الرزايا الكبرى التي حلت بالبلاد، فرحم الله المهدي وألهم أبناءه وأهله وإخوانه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الدكتور محمد حجي كما عرفته[1]

﴿كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾.

﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وهو العزيز الغفور﴾.

(صدق الله العظيم)

أيها الإخوة الكرام.

نجتمع اليوم بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاة أخينا في الله، العالم الباحث، المؤرخ الموثق، الدكتور سيدي محمد حجي تغمده الله بواسع رحمته، وجازاه على ما قدم من الصالحات.

لقد عرفت أخانا محمد حجي، وهو شاب يتلقى دروسه العلمية على نخبة صالحة من العلماء بهذه المدينة، في طليعتهم الفقيه الصوفي السيد زين العابدين بن اعبود، والفقيه الفلكي الباشا السيد الحاج محمد الصبيحي.

وعرفته وقد بدأ يتعاطى للتدريس عندما تولى إدارة مدرسة للبنات، كان يسهر عليها جماعة من المخلصين في طليعتهم حسب علمي المرحوم السيد امحمد بنغموش.

(1) حديث ألقي في الذكرى الأربعينية، لوفاة الدكتور محمد حجي.

وعرفته وهو يتطلع إلى المزيد من المعرفة والتثقيف، عندما التحق بكلية الأدب ليحصل على دبلوم الدراسة العليا، بتقديمه لرسالة حول الزاوية الدلائية، أهداني رحمه الله نسخة منها.

كان تقديمه لرسالة الزاوية الدلائية أوائل الستينات، على ما أذكر، ومنذ ذلك التاريخ، اتجه الأستاذ حجي الاتجاه الجدي للبحث، والدراسة، والتنقيب، فوهب نفسه للعلم والمعرفة، وافتتحت أمامه الأبواب المقفلة، فصار يخطو الخطوات المتتابعة، للوصول إلى ما كانت تصبو إليه همته الجبارة، ويسرع إلى تحقيق ما جعله نصب عينيه، من الحصول على الدكتورة.

وهو في هذه المرحلة الحاسمة من حياته، يفيد ويستفيد، يلقي دروسه في مدارج الكلية، ويتابع أبحاثه الجدية في مختلف مجالات المعرفة.

وكأني به يرحمه الله، كان يطمح إلى المزيد، فهو لا يقنع بالأستاذية، ولكنه يريد أن يسد فراغا في بعض مجالات المعرفة، لقد طالع الكثير، وراجع العديد من المؤلفات، وقرأ المطبوع والمخطوط من المصنفات، وأدرك بحسه الثقافي، أن الكثير من الكتب والمراجع، لا يصل إليها إلا القليلون، ولا يستفيد منها إلا الجادون المجدون، فكيف يمكنه أن يوصل إليهم البعيد، وكيف يقرب إليهم ما يشق عليهم الوصول إليه. فاهتدى بمثل ما اهتدى إليه ابن عمه الفذ المرحوم سعيد حجي من العمل على تكوين لجنة للتأليف والترجمة والنشر، جعلت همها نشر بعض الكتب النادرة والمفيدة، أمثال المعيار، والبيان، والتحصيل، والذخيرة،



الأستاذ محمد حجي

ثم أشرف على إصدار مجلة «الكتاب» جمع معه حولها نخبة مختارة من إخوانه الباحثين، وهي عبارة عن مجلة بيبلوغرافية نقدية، قال عنها : (إن مجلة الكتاب المغربي، تشق طريقها بخطى وئيدة ثابتة، وتنتشر أكثر فأكثر، في الداخل والخارج، لاسيما في الأوساط الجامعية، وتقوم بالتالي بالدور المنوط بها في التعريف بالحركة الفكرية بالمغرب، وربط الصلات بين المثقفين المغاربة والأجانب، ودور النشر والقراء والباحثين في الداخل والخارج)[2].

والجمعية المغربية المذكورة تأسست سنة 1980، وكانت تضم لدى تأسيسها نحو أربعين من الأساتذة الجامعيين، ونحو هذا العدد من الأساتذة المراسلين في مختلف جهات المغرب، وتعمل حسب قانونها التأسيسي، على تنشيط حركة التأليف والترجمة والنشر بالمغرب، والتعريف بالتراث المغربي، عن طريق تحقيقه ونشره، وربط الصلات مع الجمعيات والهيآت التي لها نفس الاهتمام، داخل المغرب وخارجه، للتعريف بالإنتاج المغربي، وتوسيع آفاق التعارف والتعاون).

ويجب أن أشير هنا إلى أن إصدار (معلمة المغرب) بمشاركة أعضاء جمعية التأليف والنشر المذكورة، والإشراف العملي الدائم للمرحوم محمد حجي، تعد بحق مفخرة من المفاخر الكبرى التي أنتجها الفقيد العزيز، وصحبه ومساعدوه، وتركها شاهدة حية دائمة، بأنه رحمه الله، برهن على أن الصادقين في

(2) العدد الثالث من مجلة الكتاب، مارس 1985.

أداء رسالة العلم والمعرفة، يستطيعون أن ينجزوا ما لم يستطع أن يقوم بإنجازه، ذووا الإمكانيات المادية والبشرية.

(ومعلمة المغرب) كما جاء في تقديمها (كتاب يحتوي ـ كسائر الموسوعات ـ على مادة علمية متنوعة، بأقلام مجموعة من الكتاب، تتمحور حول موضوع رئيسي، هو هنا : المغرب الأقصى، وهو بذلك معجم معارف ألفبائي، يضم بين دفاته، آلاف المواد التي تعنى بالتعريف بهذا البلد، على كل المستويات، في الماضي وفي الحاضر).

إن المطلع على هذه المنجزات التي سهر على إنجازها المرحوم محمد حجي، لابد أن يقف مشدوها أمام هذا الإنجاز الضخم، سواء في حجمه، أو في مواده المتنوعة، التي لم يستطع فرد، أو أفراد، أو جمعيات، أوحكومات، أن ينجزوا مثله.

والقضية لا ترجع إلى جمع المعلومات المتناثرة هنا وهناك باللغة العربية أو غيرها، أو إلى البحث الجاد عن المراجع التي جمعتها، ولكن... الذي يزيد الرجل كثيرا من التقدير، وكثيرا من الاعتراف بالجميل، هو استطاعته أن يلف حوله، وبجانبه، فئة صادقة من الأساتذة الباحثين، الذين لا يبخلون بعملهم، ولا يتأخرون عن أداء واجبهم، والذين وفقه الله فاستطاع أن يلفهم حوله، نظرا لأخلاقه السامية، وتعامله الطيب.

(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وهنا أيضا أسجل أن عمله في لف النخبة من المثقفين حوله، تشابه ما استطاع أن يقوم به ابن عمه المرحوم السعيد حجي الذي

استطاع بسمو أخلاقه، وحسن معاملته، أن يجمع حوله نخبة من خيرة المثقفين في الثلاثينيات، ليقوموا بنشاط يعتبر الأول من نوعه، تجلى في إصداره لملحق جريدة (المغرب الثقافي) وفي (مجلة الثقافة المغربية)، واللذين يعتبران من المراجع الثقافية الهامة في المجال الثقافي الحضاري الحديث.

كانت أخلاق المرحوم محمد حجي، أخلاقا سامية، فهو لا يلقاك إلا مبتسما، حريصا على أن يتعاون مع الجميع، في مجال العلم والبحث، بل حتى في المساعدة على قضاء بعض الحاجات التي يفتقر بعض رفاقه إلى مساعدته لهم فيها، وأعرف بعض الجزئيات في هذا الموضوع، قام بها، لا مجال لذكرها. كان رجل علم، ورجل أخلاق، هادئ الطبع، منظما في أعماله، محافظا أشد المحافظة على أوقاته، حتى لا يضيع له أي وقت دون عمل مفيد، كان حقيقة يعتبر الوقت من ذهب، لا من تراب، كما أشار لذلك الكاتب العبقري محمود عباس العقاد، كان متدينا شديد التدين، وغير ما مرة كنت أصادفه في مسجد فلسطين القريب من منزله، يؤدي صلواته مع جماهير المومنين، قرأ التاريخ فوعاه، وتعرف إلى رجالات المغرب، فكتب موسوعة أعلام المغرب في عشرة أجزاء، ولعل كتابته عن هؤلاء الأعلام، لم تكن بقصد الاطلاع لا غير، وإنما كانت بالإضافة إلى ذلك، بقصد الأسوة الصالحة.

كان رجلا عصاميا، كون نفسه بنفسه، فهو لم يلتحق بمدرسة عصرية في بداية مراحل دراسته، ولكن همته كانت فوق ما كان موجودا في وقته الدراسي الأول، هكذا تخطى الصعوبات بعزم

وإرادة، فاستطاع أن يقفز القفزات المتوالية، ليصل إلى المقام العلمي الذي وصل إليه.

كان يستدعيني أحيانا عندما ينجز جزءا أو جزأين من معلمة المغرب، وكنت ألاحظ على أساريره بشائر الفرحة بهذا الإنجاز الرائع الراقي، كأنما ازداد له مولود، أقام حفلة العقيقة بمناسبة تسميته، ودعا لها الأحباب والأصدقاء، ليشاركوه فرحته، ويهنؤوه بسلامة مولوده الجديد.

رحم الله أخانا محمد حجي، فقد كان مثالا يحتذي، وقدوة صالحة، يجب أن يتأسى بها ويتعرف عليها، المثقفون الجادون، والباحثون الصامدون، والعلماء المهتدون.

وسلام عليه يوم ولد، ويوم مات، ويوم يبعث حيا.

يوم الأحد 12 محرم الحرام 1424
16 مارس 2003.



الأستاذ محمد المدور

محمد المدور
مثال الشباب الوطني

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

أيها الإخوة أيتها الأخوات(*).

في الواقع إن الحديث في مثل هذه الذكريات قد يطول، ولربما في ظروف أخرى يجب أن يطول لماذا ؟ لإن مثل هذه الاحتفالات والكلمات التي تلقى فيها، هي التي تبلغ لشبابنا تاريخهم، وتعرفهم بذكرياتهم، وبرجالاتهم، فالأمة التي تفقد ذاكرتها، تفقد وجودها، وواجبنا جميعا أن نقوم بالتعريف برجالاتنا، وبشبابنا القديم،ليعرف الشباب الجديد، أن هاته المنقبة التي تقوم بها جمعية رباط الفتح، للتعريف برجالات الفداء، والتضحية، والوطنية الصادقة، والعلم الغزير، بمناسبة ذكرى 29 يناير عام 1944، حقيقة هي منقبة تسجل لها بمداد الفخر، لماذا ؟ لأننا نريد من شعبنا ألا ينسى تاريخه، ولأننا في هذا الظرف بالذات، مضطرون إلى أن نعرف بتاريخنا، وبكفاح أبطالنا، وبما قدمه شبابنا، ورجالاتنا الأوائل، وكذلك الملحقون بهم.

(1) نص العرض المرتجل الذي ألقي بمناسبة ذكرى وفاة الراحل محمد المدور رحمه الله مستخرج من شريط التسجيل.

نتكلم عن الرباط وعن كفاحه، وحقيقة إذا ما تكلما عن الرباط، لابد أن نتكلم عن المكرمات الكثيرة، وعن التضحيات الجليلة التي كان يتحلى بها شباب الرباط، كانت رباطا بالفعل، رباطا للوطنية، كانت رباطا بالفعل، لمن كان فيها من الرجال، ولمن كان فيها من الشباب. الشباب الذي أستحضر الآن في هاته اللحظات، هاته الكوكبة التي تعرفت عليها، وأنا مع إخواني قادة الحزب بالرباط، أجلس معهم، وأستمع إليهم، وإلى تحركاتهم، كوكبة كان في طليعتها أخونا المرحوم محمد المدور، كان من جملتها أخونا المرحوم زين العابدين بن إبراهيم، كان من جملتها أخونا محمد بن الراضي حفظه الله، كان من جملتها أخونا الحاج علي بركَاش رعاه الله وكثيرون وكثيرون. وكان من جملتها أيضا، وإن كان أكثر من شاب في ذلك الوقت، أخونا المرحوم عبد الهادي لحلو إلى غير هؤلاء الذين لا أستطيع أن أعدد الكثيرين منهم. الرباط أعطت الكثير، وكان شبابها متحمسا قوى الإيمان، لا أنسى ذكرى 29 يناير، 1944 في الرباط كانت مثالا يحتذى، لا فيما يتعلق بالفداء فقط، ولكن فيما يتعلق بوحدة الصف، وفيما يتعلق بالوطنية الصادقة، وفيما يتعلق أيضا بتلاحمهم وتعلقهم بالعرش، هذا التلاحم العظيم الذي بفضله استطعنا أن نحقق استقلال بلادنا في ظرف وجيز، لا أنسى وأنا في سلا، عندما وصلني خبر مظاهرة الرباط 29 يناير 1944، وأخونا المرحوم محمد المدور يقوم خطيبا، يجلجل بصوته، وهو لازال في عفوان شبابه، محمولا على الأكتاف، يخاطب الحاضرين بكلمات كلها إخلاص ووفاء، يقول مرتجلا سيدي

محمد المدور رحمة الله عليه في مظاهرة 29 يناير، بثواركة أمام القصر الملكي : «أيها المسلمون، إن الإسلام يعرض عليكم اختياره، إنكم مدعوُّون إلى الإسلام، وما استجابتكم إلا لله ولرسوله، إن استجابتكم لهذا الرجل (ويعني محمد الخامس) الذي نحن في قصره، استجابة لله ولرسوله، ولصالح المسلمين عامة، إلى آخر ما ارتجله في خطابه.

هذه بضع الكلمات، على أي شيء تنم ؟ تنم على روح إيمان قوية، وتنم على نضال مستميت، وتنم على أن الشباب الوطني في ذلك الوقت، كان يربى التربية الوطنية الصادقة، إنها التربية لمحبة الوطن، والتربية للتعلق بالعقيدة الإسلامية، والتربية كذلك للالتحام مع العرش، من أجل الوصول إلى الغاية.

الحديث عن محمد المدور يطول والوقت قصير لا يسمح بذلك، لقد عرفت محمد المدور في ميعة الشباب، كشاب مناضل في شبيبة الحزب، وعرفته مسيراً من مسيري الجماعات الحزبية، وعرفته كعضو عامل في إدارة الحزب، لقد عرفته صحفيا، عندما كان رئيس تحرير جريدة (الحسنى) التي كانت تصدرها وزارة الشؤون الإسلامية، في عهد وزيرها إذ ذاك الزعيم علال الفاسي، عرفته وطنيا مثاليا وهو يجاهد ويكتب، ويرتجل، يقوم بتبليغ الرسالة، عرفته كذلك عندما كان معلما في مدرسة أخي ورفيقي الحاج أحمد بلافريج مؤسس مدرسة مَحمد جسوس، عرفت الكثير عن السي محمد المدور، ولذلك فعندما أتحدث عنه أتحدث بصدق، وعندما أتحدث عنه، أتحدث عن شاب كان يعطي المثال

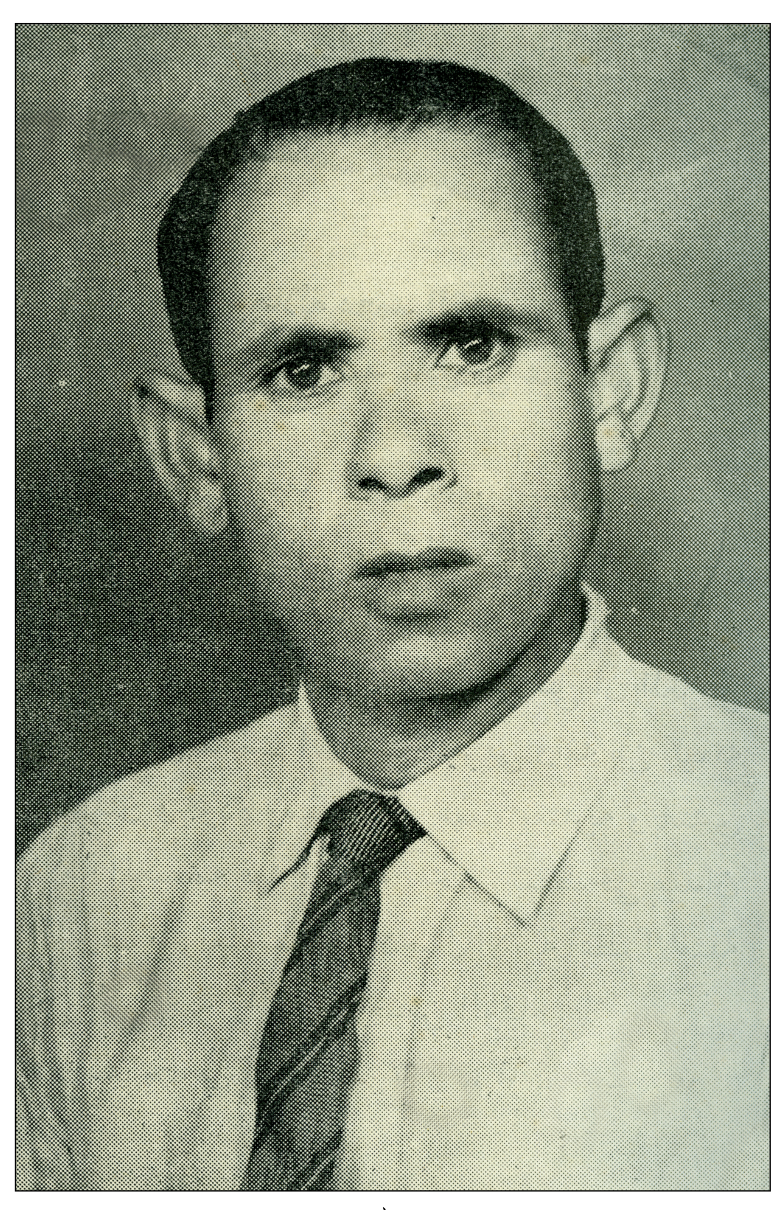
للشباب الوطني، فنحن الآن في حاجة إلى إيقاظ الضمائر، لنربي أبناءنا على الشكل الذي تربى عليه محمد المدور وأمثاله، لأن المغرب الآن في حاجة إلى أمثال هؤلاء الشباب، الذين قدموا مصالح شعبهم، ومصالح عقيدتهم، على كل المصالح، ولأنهم كانوا مؤهلين للفداء ومؤهلين للتضحية، ولأنهم عندما امتحنوا في السجون وفي المعتقلات، كانوا مثال الصبر، ومثال التضحية، ومثال الوفاء بالعهد، هذا الوفاء هو الذي لا ينبغي أن ننساه أبدا، والذين يوفون بعهد الله، لابد أن يلقوا جزاءهم عند الله سبحانه وتعالى. وقد افتتح هذا الاجتماع أخونا الذي تلا علينا القرآن الكريم بقوله : ﴿إن الذين سَبَقَتْ لَهُمْ منّا الحُسْنَى أولَئِكَ عَنْها مُبْعدُون لا يسْمعُون حَسيسَها وهُمْ فِيما اشْتَهَت أنفُسُهُم خَالِدون، لا يحْزُنهم الفزَع الأكْبَر وتَتَلقَّاهم الملائِكة هذا يوْمُكم الَّذِي كُنتم تُوعَدون﴾ لقد تلقت الملائكة أخانا المدور رحمه الله، ليلقى جزاءه عند ربه، فهنيئا له، وهنيئا له هذا الثناء العاطر، وصدق رسول الله ﷺ عندما قال : «من أثنيتم عليه خيرا، وجبت له الجنة».

لقد كان محمد المدور من الخطباء الفصحاء، ومن الكتاب المُجيدين، وإن أحاديثه التي كان يلقيها سواء في الإذاعة الوطنية، أو الأحاديث التي كان يلقيها في صفوف بعض ضباط الجيش المغربي، كانت تلقى كامل الاستحسان من الجميع، لقد كان رحمه الله مكلفاً من طرف الحزب، بتسيير بعض الخلايا الحزبية، ولقد أتيح له أن يتعرف على الشهيد الغيور الفدائي الأول علال بن عبد الله، فكتب عنه كتيباً يتحدث فيه عن حياته ووطنيته،

والتحاقه بخلايا حزب الاستقلال، ولقد رأيت وفاءً له وللشهيد علال بن عبد الله رحمه الله، أن أضيف لما كتبته عنه، ما كتبه هو عن الشهيد المذكور، منذ أن كان عضواً من أعضاء خلايا حزب الاستقلال، إلى أن سقط شهيداً، وهو في طريقه إلى إغتيال دمية الاستعمار، الذي أجلسه الفرنسيون على العرش المغربي، بعدما نفوا محمد الخامس، وأزاحوه عن عرشه، إحقاقاً للتاريخ وتخليدا لذكرى بطل من أبطال المقاومة المغربية، الذي حمل السلاح، وجاهد في سبيل العرش، إلى أن سقط شهيداً مرضياً من ربه.

قال محمد المدور تحت عنوان :

(علال بن عبد الله بطل التضحية والفداء)



الشهيد علال بن عبد الله بطل عظيم حيا وميتا

علال بن عبد الله
بطل التضحية والفداء

للأستاذ المرحوم محمد المدور

تقديم :

هذه قصة واقعية، كتبتها للحقيقة والتاريخ، كرواية لإذاعتنا الوطنية، يوم 11 سبتمبر 1957، بمناسبة الذكرى الرابعة، لاستشهاد بطلنا العظيم، علال بن عبد الله.

وقد اقترح علي بعض من سمعها، طبعها وإخراجها في شكل رسالة، ليطلع عليها الجمهور المغربي، الذي يقدر أبطاله المخلصين، ويحفظ لهم أجمل الذكريات.

وها أنذا أغتنم فرصة حلول الذكرى الثلاثين، لتربع بطل المقاومة المغربية، وحامل لواء الاستقلال والحرية، جلالة مولانا محمد الخامس على أريكة أسلافه المقدسين، لأنفذ رغبة الإخوان، وأجعل في متناول يد كل مغربي ومغربية، هذه الألوكة، التي تعطي صورة واضحة عن أخينا علال بن عبد الله، الذي قدم نفسه فداء للجالس على العرش المغربي العتيد، مخلدا بذلك ذكره في تاريخ الكفاح الشريف، ومبرهنا على أن دروس الوطنية والمقاومة التي كان يتلقاها في خلايا حزب الاستقلال، سرت في شرايينه، وتغلغلت في قرارة نفسه، ودفعته إلى التضحية والفداء.

عرفت دائرة حي العكاري لحزب الاستقلال بالرباط، سنة 1947، عضوا عاملا، وعنصرا حيا، انضم إلى صفوفها، وأدى أمام كتاب الله العزيز، يمين الإخلاص لله، والوطن والملك، وكتمان أسرار الحزب. ذلكم العظيم، هو الشهيد علال بن عبد الله.

بدأ إخلاص هذا الرجل يتدفق، ونشاطه يتوالى ويستمر، وحرصه على نظام خليته يتألق ويتزايد، مما حفز أعضاء جماعته إلى تنصيبه أمينا عليهم، وقد كانت له اتصالات متينة، بمندوب الحزب المحلي، الأستاذ الحاج أحمد الشرقاوي، الذي كثيرا ما كان يغشى منزله، ويدرس معه شؤونا هامة في صمت وحكمة، وقد حكت لي السيدة زوجته : أنه كان رجلا مثاليا في صيانة السر، حتى أنه كان يقول لها : (إنك وحدك هنا التي تعلمين أن خليتي تعقد اجتماعها بمنزلي مرة في الأسبوع، فإذا بحت بالسر، فإنني أقطع لسانك !!) لأننا أقسمنا على المحافظة على كتمان أعمال حزبنا، فكوني سيدة الناس.

وقد تضاعف حماسه الوطني، منذ ألقي القبض على زعماء حزب الاستقلال في شهر دجنبر 1952 حيث كان يتهكم بترديد كلمة الاستعماري الجنرال كيوم «لقد قطعت جسد الأفعى - يعني حزب الاستقلال - وبقي الرأس - يعني جلالة الملك -» ترى هل يستطيع هذا الحقود الوصول إلى الرأس ؟ أجل، لقد قال قبله الجنرال بوايي دولاتور : «يجب علينا أن نقضي أولا على حزب الاستقلال، ثم نقضي بعد ذلك على جلالة السلطان» إذن فخطة الأوغاد، لابد أن يصلوا بها إلى النهاية لا محالة، «إنهم أولاد الحرام» فما العمل ؟ ولمن المرجع للاستشارة ؟ إنهم حلوا

حزبنا رسميا «وحزبنا وحده» وأودعوا زعماءنا، وجل أعضائنا البارزين، في المعتقلات وغياهب السجون، وأطلقوا لاستبدادهم العنان، منكلين بالأبرياء والأحرار، باثين الرعب في جميع النفوس، متحكمين إلى القوة والجبروت والطغيان، منساقين إلى عواطف الحقد، والمكر، والدس، والإيقاع، متناسين أنه :

وما من يد إلا يد الله فوقها وما ظالم إلا سيبلى بأظلم

فأصبحت حياتنا جحيما لا يطاق، وصار المغرب بأسره سجنا للأحرار، وأطلقت أيدي الخونة للتنكيل والنهب والاغتصاب، حتى ضاقت بنا أرضنا الطيبة بما رحبت، وتسرب القنوط إلى النفوس.

ولكن ما بال اليأس يتسرب إلى نفوسنا، والطريق واضحة؛ إن كلمة السر التي تركها إخواننا للمخلصين بعدهم : إذا تجرأ الاستعماريون الفرنسيون، ومدوا يدهم إلى رمز السيادة المغربية وحاميها، جلالة محمد الخامس؛ لم يبق مبرر للهدوء، و لم يبق أمل في الحياة. يجب على من لم تمسه من مخلصي الشعب أيدي الجبابرة الطغاة، أن ينطلق، أن يغضب، أن يثور، فلا عزة، ولا مجد، ولا شرف، بعد خلع محمد الخامس من عرشه !

وتمر الأيام بسرعة بين مد وزجز، وينفذ دهاقنة الاستعمار، المكيدة العظمى، والكارثة الفادحة يوم 20 غشت 1953 ويبحث علال بن عبد الله عن أحد أصدقائه، فيعثر عليه بين مظاهرات الاحتجاج الصاخبة، فيجبذه صارخا في وجهه : «إن الذي يستعد للموت في سبيل عقيدته المقدسة، لا يعلن عن ذلك في

مثل هذه المظاهرات. إن الاستعمار يخاطبنا بقوة الحديد والنار، فيجب أن يكون رد فعلنا بالحديد والنار» هيا لندرس حل المشكل، ونجتهد فيه، لعل الله يفتق أذهاننا لما فيه خير هذه الأمة. ويفتح صديقه مذياعه القوي الجهاز، فإذا بصوت العرب من القاهرة، يسمع المغاربة المكبوتين صوتا عزيزا عليهم، عرفوا إخلاصه للعرش والبلاد، حاضرا وغائبا، إنه صوت زعيم حزب الاستقلال، الأستاذ علال الفاسي الذي ينطلق الآن مدويا بهذا النداء الصارخ، الذي يحث المغاربة على الجهاد المقدس، وشن الحرب على المستعمر الجبار، وانتزاع الاستقلال من بين أظافر الوحش الكاشر، ها هو صوت علال يجلجل قائلا :

[1]«... لقد قضى القضاء، وبلغت الغطرسة بالفرنسيين إلى حد أن يبعدوا ملكنا الشرعي عن عرشه. نعم، لكن توجه الجنرال كيوم بعد الظهر إلى القصر الملكي بالرباط، محفوفا بالجيوش والدبابات الفرنسية، وطلب من جلالة السلطان أن يتنازل عن العرش، ولكن جلالته رفض بكل إباء وشمم، فما كان من ممثل فرنسا إلا أن نفذ الجريمة النكراء، فأسر الملك، وولي عهده، الأمير مولاي الحسن، وأخاه الأمير مولاي عبد الله، حيث نقلتهم طائرة حربية إلى منفى

(1) هذا النداء التاريخي، الذي ألقاه زعيم الحزب من مذياع صوت العرب، من القاهرة، في يوم العشرين من غشت 1953، بعد ساعة من اختطاف جلالة مولانا الملك وأسرته، يعتبر الوقود الذي أشعل نار المقاومة في المغرب، إذ استمع إليه آلاف المغاربة الحائرين بين اليأس والأمل، لفداحة النكبة. فوجدوا منه القوة التي أخذتهم من ذات الصدع، إلى ذات الرجع، فانطلقوا يعملون مستجيبين لنداء الزعيم، الذي ليس إلا تذكيرا بعقيدة الحزب ومبادئه، ومكافحين لجعل الموقف الرسمي الذي اتخذه باسم الحزب والشعب حقيقة واقعة.

كورسيكا، الذي اعتاد الفرنسيون منذ القدم، أن يعتقلوا بها (القرصان) المسلمين، الذين يختطفهم لصوص البحر الفرنسيين، وكان الجنرال كيوم، قد أصدر أمره بفض القبائل التي كانت واردة كالعادة للمعايدة مع الملك، ومشاركة جلالته في حفلات عيد الأضحى المبارك. إن القوة الفرنسية قد عملت عملها، وذلك ما كنا نتوقعه في كل وقت، لأن محمد الخامس، أكبر من أن يظل على عرش تظله حماية أجنبية، ولأن أعماله وكفاحه لا يسمحان له بأن يظل على مرأى ومسمع من الجلادين الفرنسيين. ولقد أقر ممثلوا الجمهورية الفرنسية اليوم، نظاما يرتكز على قوة الحديد والنار، حيث أصبح كل مغربي، مسجونا في بيته، وصدرت الأوامر بإطلاق النار على كل من يخرج من منزله، ومنعت إقامة صلاة العيد وحفلاته، وهكذا أصبح اليوم الإسلامي الكبير، يوم حداد للمومنين في مراكش.

لقد انتهكت فرنسا بعملها هذا، كل مبادئ الحق والعدل، وأثبتت براءتها من كل المواثيق الحرة، وحتى من الطبيعة الإنسانية، ولقد اعتدت على سيادة مراكش، وعلى عرشها، وعلى الإسلام، والعروبة فيها، وعلى كل ما التزمت فرنسا باحترامه في المعاهدات المذيلة بامضائها وشرفها، وفعلت أكثر من ذلك إذ قهرت كل مراكشي ومراكشية، بل كل مسلم ومسلمة، وعربي وعربية على وجه الأرض، في شخص محمد الخامس، الذي كان يمثل بحق عزة المؤمن، وقوة المكافح، وكرامة العربي. وإنني كزعيم حزب الاستقلال، وكواحد من علماء القرويين الذين لهم وحدهم حق انتخاب السلاطين، أعلن رسميا أن الملك الشرعي

لمراكش، كان وسيظل هو محمد الخامس، وإن ولى عهد المملكة الشريفة، هو مولاي الحسن، النجل الأكبر لسلطان مراكش، وإننا لن نعترف بأي سلطان، أو رئيس صوري، تنصبه السلطات الفرنسية باسمها، أو باسم أذنابها، أو من ترغمهم بالقوة على ذلك، كما أننا لن نعترف بأي قرار، أو تشريع، أو تدبير، أو إجراء، أو معاهدة، أو اتفاق تصدره فرنسا أو تستصدره من هذه الصور، أو الهيئات السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، ونؤكد أن نظام المغرب، هو النظام الذي سنقره نحن، باتفاق مع شعبنا، ومع ملكنا محمد الخامس، يوم يتم استقلال مراكش، وجلاء الجيوش الفرنسية عنها.. وإنني أهيب بالشعب المراكشي، أن يواصل كفاحه من أجل الغاية الوحيدة التي هي استقلال البلاد، وأن يبذل معنا كل ما يستطيعه من الوسائل، للذب عن كرامة مليكنا الشرعي، وإعادته إلى عرشه، عالي الرأس، موفور الكرامة. إنني أهيب بالعالم الإسلامي كله أن يذكر مراكش في محنتها، وأن يؤيد حركتها، ويبذل لها وسائل العون، فإن مراكش، وملك مراكش، وشعب مراكش، لم يعملوا إلا للذب عن الإسلام، واللغة العربية، و لم يصابوا إلا حين غضبت فرنسا، من أجل تعلقهم بدينهم الإسلامي، وقومهم العرب. وإنني أؤكد لجميع المراكشيين، والمسلمين، وللعالم الحر، إننا لن نتقهقر عن موقفنا، أو نحيد عن خطتنا، إلى أن نحقق آمال الأمة في الحرية والاستقلال، وطرد الغاصبين، ومادام الله معنا فالنصر لنا».

إنه نداء قوي، يعبر تعبيرا صادقا عما يختلج في نفس البطل الاستقلالي علال بن عبد الله، فيستبشر، ويحمد الله على هذا

التجاوب الروحي، الذي تبادله بالرباط، مع زعيم حزبه بالقاهرة، ويلتفت إلى صديقه قائلا : «يجب أن نبحث على من يمكننا من السلاح، لنستعمله في أسرع ما يمكن من الوقت، لأنه لا يفل الحديد، إلا الحديد» وأخذ علال يفكر في الوسيلة التي تمكنه من بلوغ أمنيته الوحيدة، فلم يهدأ له بال، و لم يحل له طعم، و لم ينم له جفن، ويتناجى مع نفسه «أين النفوس الثائرة ؟ وأين من كانوا يعلنون في المظاهرات استعدادهم للموت ؟ أخان المغاربة ملكهم الشرعي، الذي دافع عن شرفهم إلى النهاية ؟ أتناسى الوطنيون العهد الذي أدوه أمام القرآن العظيم، للاخلاص للدين، والوطن، والملك ؟

كل ذلك لا أعتقده، فلم هذا السكون يا رب ؟ لاشك أنه السكون الذي يسبق العاصفة، لاريب أن إيمان المغاربة المخلصين، تواق إلى من يوقد الشرارة الأولى، لقد أجبنا بأن السلاح سيصل عما قريب، ولكنني أرى الوقت يضيع، فهلا نستطيع الانخراط في جيش العدو للاستيلاء على سلاحه ؟ وهلا نستطيع خطفه من حامليه من الاستعماريين وأذنابهم الخونة ؟ وهلا نقدر على التسلل في جناح الليل، لدكاكين الأسلحة، لتصبح في أيدينا نستعملها لأخذ الثأر ؟».

وهكذا كانت مثل هذه الهواجس، تصاحبه في بياض النهار وسواد الليل، ويئن في كل وقت وحين؛ من جراء ما أصاب الأمة من هول جسيم، ورزء عظيم، فتشفق زوجته لحاله، وترثي لألمه. فيبادرها بصوت ملؤه الحنان، وقلب ملؤه الإيمان : «زوجتي غدا الجهاد !!».

فتذرف العبرات، وتصعد الزفرات، ولكنها لا تعلم حقيقة برنامجه. فيستيقظ في الثالثة صباحا من يوم الجمعة 11 شتنبر 1953 وهو عازم على تنفيذ ما فكر فيه منذ عشرين يوما، لقد قصد بعد تنظيم مصالحه توا، دكان أحد الحذائيين، وطلب منه أن يسن له مدية كبيرة، حتى صيرها أمضى من الموسى، وأودعها داخل غشائها، والتحق بمنزله، وتوضأ، وكان من عادته تأدية ركعات في البيت، فخفت زوجته لتراقب أمره، فوجدته يطوي سرواله، وفجأة رأت غشاء المدية فصاحت : «ما هذا يا علال» «وجعلت تصرخ وتبكي».

– لاشيء لقد قلت لك البارحة، غدا الجهاد. إنه يوم أغر عند الله، هدئي روعك يا زوجتي، ولا تجزعي، فمن كان لله، كان الله معه» وربت على كتفيها، وهي لا تدري ماذا سينفذ، وجعل الباب وراءه، وهو يرنو إلى زوجته الحامل، نظرة يزن فيها بين العاطفة والواجب، ويستقل سيارته بجانب أحد خلانه، متوجها إلى المشور، ويقف بين الصفوف متأملا في الجو المملوء بالنفاق والمواربة، والخداع، وينظر نظرة شزراء إلى راكبي الخيول، وشاهري السيوف والبندقيات، في زيهم الرسمي، وبعد هنيهة، ترن في أذنه الاستعدادات الموسيقية، التي تعلن خروج دمية العرش، الخائن البليد، ابن عرفة، لأداء فريضة الجمعة، فتشتعل نار الغيرة والحمية في قلبه، ويهيئ سيارته لتنفيذ الخطة التي رسمها لنفسه، وآمن بها من صميم قلبه، ثم يرفع عينيه إلى السماء مناجيا ربه قائلا : «أنت يا علام الغيوب، مطلع على ما تكنه الصدور، وما تنطوي عليه السرائر والنفوس، لقد امتحنتنا يا رب، لتميز

الخبيث من الطيب، مصداقا لقولك الكريم ﴿ألم، احسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم، فليعلمن الله الذين صدقوا، وليعلمن الكاذبين﴾ صدق وعدك يا رب، وتجلت حكمتك، فها أنذا أشاهد أمامي هؤلاء الكاذبين المفترين، الذين يحاولون بالباطل والبهتان، أن يتخذوا من شعائرك المقدسة، طلاء لظفر الاستعمار، وغشاء لنابه الفتاك:

إني لأفتح عيني حين أفتحها   على كثير ولكن لا أرى أحدا

لقد نصبوا الحراسة في كل مكان، ليمنعوا المجاهدين الأحرار، من تغيير هذا المنكر، ومحو هذا الزيف، وتحطيم هذه الدمية الخسيسة، عبثا ما يفعلون، وسخفا ما يقترفون، وباطلا ما يدعون، فقريبا ستنجلي الحقيقة، وتخضب هذه الأرض بالدماء، وتهب جنود التضحية والوفاء، لتدوس هذه الأصنام، وتحطم القيود والأغلال، وتعيد لهذا الجسد الثائر، قلبه النابض، محمد الخامس، الذي آثر النفي والتعذيب، دفاعا عن الملة والدين والوطن، وحفظا لكرامة الشعب، وصونا لحقوقه المقدسة في الحرية والاستقلال.

إيه أيها الاستعمار البغيض، لقد غرك اليوم أن الشعب مغض على قذى، فتوهمت أنه قد استكان واستسلم، ولبس مسوح الذل والهوان، فها أنت قد جمعت أحلاسك، وأذنابك، وخدامك، وسماسرتك وعبيدك، لتقيموا باسم الزندقة والإلحاد، فريضة الجمعة على انقاض الدين، والكرامة، والوطنية، ها هي ذي وجوه الخونة تتجسم فيها كل معاني الخسة والنذالة واللؤم.

إيه أيتها الذئاب التي تمتص دماء الشعب، وتغتصب الأقوات والأرزاق، وتنكل بالأبرياء والأحرار، لقد آن لكم أن تؤدوا ثمن خيانتكم غاليا، وستبصرون مآلكم قريبا، وبئس المصير، نعم، فقريبا تفتح صفحة الجهاد المشرفة، وتروي شجرة الحرية بدماء الشهداء والمخلصين، ويقذف الله جنود الحق، على أبالسة الباطل، ليدمغوه ويمحقوه، فإذا هو زاهق، لابد من الثار. إن محيا ملكنا المحبوب المنفى، مرتسم على صفحات قلوبنا، وصوته المدوى، يهتف بنا لنصرة الحق، ولاقتحام طريقه، طريق التضحية والفداء، التي اختطها لنا، وضرب لنا فيها أروع المثل؛ نعم سنثأر، سنستميت في الدفاع عن حوزة الوطن الجريح، الذي أهانه الاستعمار، وطعنه في رمز سيادته وكرامته، وبطل حريته واستقلاله.

سيثار للعز المحطم تاجه — رجال إذا جاش الردى فهموا هم
رجال يرون الذل عارا وسبة — ولا يرهبون الموت والموت مقدم

وها قد انبثق اليوم الذي سيكون فاتحة عهد الانطلاق، عهد الثورة، عهد الأخذ بالثأر، وصون الكرامة، فيا دهاقنة الاستعمار، ويا دمية الاستعمار، وربيب الذل والهوان، وحليف الاقطاعية والرجعية، وبؤرة المنكر والرجس، سأشنها اليوم عليكم، معركة لا تخمد لها نار، ولا يهدأ لها أوار، حتى تتطهر هذه الأرض من وجوهكم البشعة، وتتحطم صروحكم المقامة على العبودية، والاستغلال، والطغيان. سيغمرك النور أيها الوطن، وستبتسم لك الحياة، وسيعود لك بطلك المغوار، وحامي حماك، ورافع راية عزك بين الشعوب والأمم، وأنف الاستعمار راغم.

يـا حـامـل الآلام في مـنـفـاك لا تيأس فشعبك في الفداء تسامى
الشعب شعبك حاضرا أو غائبا والأمـر أمـرك أيـن كـنـت دوامـا
الـقـتـل مـا لم يـرجـعـوك سـبـيـلـنـا سيرون أنـــا لا نـــهـــاب رؤامـــا

مليكي الرحيم، إنني أتملى بطلعة محياك الوضاح، وأنت هناك في منفاك السحيق، بل هنا في قلب كل مغربي ومغربية، فأستلهم منك التضحية والفداء.

إن جيوش الشيطان وأعوانه، تتطلع برية إلي، وتسد علي مسالك الطريق، وقد عزمت على الجهاد في سبيلك، لنصرة الدين والوطن، لقد أعد الاستعمار لهذا اليوم المشهود عدته، ولم أعوانه وجيوشه، واستدعى لحضوره مآت من السواح الأجانب، للتغرير والتضليل، وحجب الحقيقة عن أنظار العالم، بستار سميك غليظ، ظاهره فيه الرحمة، وباطنه من قبله العذاب، ولكني سأزيح القناع عن هذا التزييف، وأرفع الستار عن هذه المهزلة السخيفة، وأميط اللثام عن حقيقة دمية الاستعمار، وما يكنه لها هذا الشعب الأبي من بغض، وكراهية، واحتقار، ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ يريدون أن يكذبوا على العالم، بصور مصطنعة، وأصنام متحركة، وأقوال زائفة، ليستعبدوا هذا الشعب إلى الأبد، ولكني سأنزع هذا القناع، وأكشف للعالم عن حقيقة هذه المهزلة.

وأنت أيها الموت، لست أهابك، ولا أخاف سهامك أيتها المنية، مادمت سأقدم روحي عن حامي حمى الدين والوطن.

إنني أرى أبواب السماء تتفتح لي، وأشاهد الملائكة الأبرار تفتح لي صدرها، وتدعوني إلى الجنة، فلبيك اللهم لبيك، ودام لك العز والسؤدد، والفخار، يا مليكي، وشعبي، لبيك اللهم لبيك، لبيك اللهم لبيك...».

ويندفع علال بسيارته العتيقة لتنفيذ مهمته الخطيرة، فيسمع أزيز السيارة، وخرخرة عدتها البالية، ويخترق الصفوف، محدثا الرعب والفزع، والحيرة في جميع النفوس.

وهاهو يقترب من الدمية السوداء المزيفة، ويستل خنجره الذي أعده للقضاء على هذا الدعى السخيف، وتنطلق في الجو أصداء هذه المعركة الفاصلة، التي هي مرحلة حاسمة في تاريخ المغرب.

وفجأة يستيقظ رجال الغدر والمكر، فيصوبون رصاصهم إلى قلب الفدائي الشهم الشجاع، الذي تمكن من اختراق الحواجز، واجتياز السدود، وقلب دمية العرش، والإطاحة بها

الشهيد عندما سقط من سيارته بعدما اخترق الرصاص جسده

من أعلى الفرس، إلى أسفل الأرض، مزيحا بذلك الستار عن هذه الخدعة المزيفة، وفاتحا أبواب الجهاد على مصراعيه في وجه المكافحين، ضد الزيف والاستعباد.

لقد سقط الشهيد البطل صريعا، بعد أن انتصر على الاستعمار، وحطم صنمه ولسان حاله يقول :

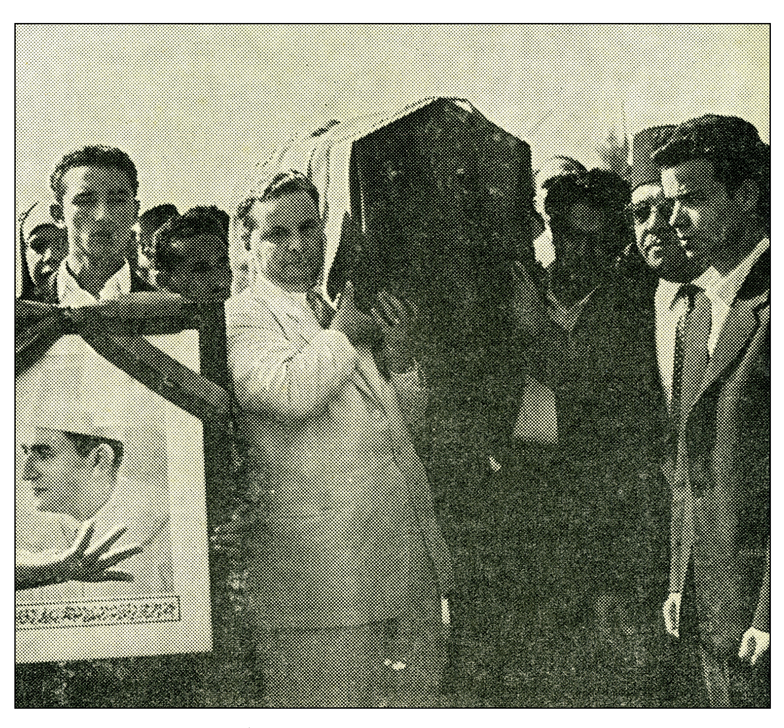
ولست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي

وباع نفسه لله الذي وعد المومنين الصادقين بالنصر على الأعداء في الدنيا، وبشرهم بالنعيم في الآخرة حيث قال سبحانه : ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نوتيه أجرا عظيما﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء، عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

أجل، لقد فتح الاستقلالي، علال بن عبد الله صفحة جديدة في تاريخ الكفاح الوطني، حيث أن هجومه الموفق، كان بمثابة كشف الطريق الغامضة للذين يريدون العمل.

وقد كان عمله هذا فكرة، فأصبحت عقيدة ـ عقيدة الفداء ـ تأصلت في نفوس المخلصين، فتباروا في ألوان المقاومة، حتى رجع الملك الشرعي، محمد الخامس عالي الرأس، موفور الكرامة، حاملا في يده الكريمة وثيقة الإستقلال التاريخية.

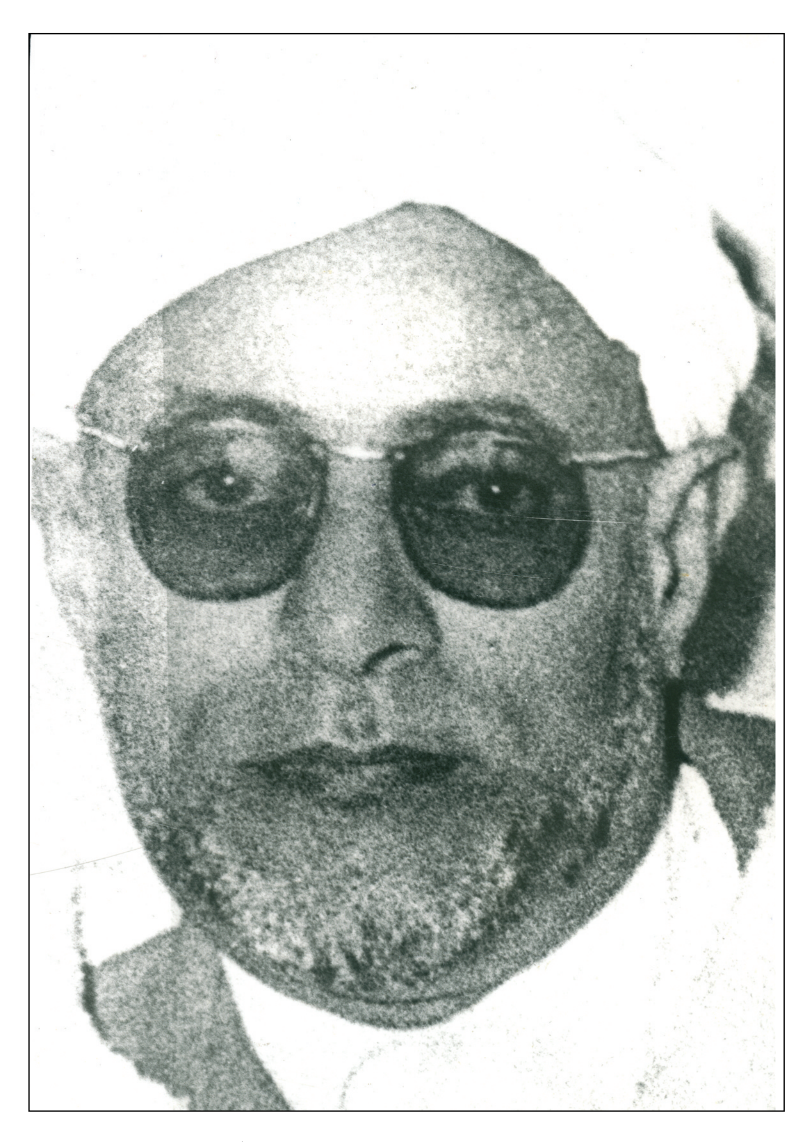
بدأ الفداء وكان أول من فدى ... علال هاتك حرمة الشيطان
فعليك يا علال ألف تحية ... مادامت الدنيا بكل لسان



جثمان الشهيد، يحمله زعيم حزب الاستقلال، الأستاذ علال الفاسي
ورئيس المقاومة المغربية، الفقيه محمد البصري، يوم نقله من المكان المجهول
الذي دفنه فيه الاستعماريون، إلى مقره الأخير، بمقبرة سيدي الخطاب
بالرباط صباح 20 أغسطس 1957.
وشاءت الأقدار أن يدفن الزعيم علال الفاسي، رحمه اللّه قريبا جداً
من قبر علال بن عبد اللّه، الفدائي الأول، الذي شق الطريق لبداية المقاومة
في مختلف أنحاء المغرب، والتي تحقق بتضحيات الصادقين،
رجوع محمد الخامس من المنفى، حاملا في يده الكريمة،
أمانة التحرير والاستقلال



صاحب السمو الملكي، ولي العهد المحبوب، ورئيس أركان حرب
القوات المسلحة الملكية، المولى الحسن بن محمد الخامس
يلقي صباح 20 أغسطس 1957
كلمته الارتجالية، أمام جثمان البطل الشهيد،
علال بن عبد الله، في مقبرة سيدي الخطاب بالرباط



الشهيد عبد العزيز بن إديس رحمه اللّه

الشهيد عبد العزيز بن إدريس

تدوين سير زعماء التاريخ، وتسجيل تراجمهم، وتخليد ذكراهم، عمل جليل القدر، عظيم الفائدة، بعيد الأثر في الحفاظ على تراث الأمة، وصيانة إرثها من الضياع والفقدان. ولقد قُدِّرَ للمغرب أن يكون له رجالاته الأفذاذ، من الزعماء الرواد، الذين قدموا للوطن أجلَّ الخدمات، وضحوا من أجله أكبر التضحيات، ولست أبالغ إذا قلت إنَّ معظم أفراد هذه الصفوة المختارة من رجالات الحركة الوطنية المغربية، لم يظفروا بمن يكتب سيرتهم، ويدون حياتهم، ويقدم للأجيال الحالية واللاَّحقة، صوراً عن الأعمال التي قاموا بها في صفوف الحركة الوطنية، في سبيل كرامة الوطن، وحريته واستقلاله، وقليلٌ هم المحظوظون من هؤلاء القادة الوطنيين الذين كُتِبَ عنهم، سواء في سياق التأريخ العام للحركة الوطنية، أم في كتبٍ قائمة الذات. وسيبقى تاريخ المغرب الحديث، ناقص التدوين، مبتورَ الأطراف، غير مكتمل الجوانب، ما لم يكتب عن الوطنيين المناضلين، الذين صنعوا أمجاد الحركة الوطنية، وصاغوا أنصع الصفحات، في سجل الكفاح الوطني المغربي.

من أجل هذا، أسعدني أن يطلعني الأخ الأستاذ محمد السلوي، أبو عزام، على المبادرة الثقافية التي قام بها، بكتابة

مصنف عن أخينا المرحوم برحمة الله، الوطني المجاهد، الشهيد الأستاذ سيدي عبد العزيز بن إدريس، وقد طلب مني أن أكتب مقدمة لكتابه هذا، فما ترددت قط، تقديرا مني لهذا العمل الذي أتاح لي الأستاذ السلوي أن أقرأ مسودته، وإكبارا لهذه الهمة التي دفعت بالمؤلف إلى أن يقدم للقارئ ترجمة محررة لأحد أعلام المجاهدين الوطنيين، الذين يفتخر بهم المغرب، ويُنزلهم المنزلة الرفيعة من سجل تاريخه الحديث والمعاصر. وقبل هذا أو ذاك، بادرت إلى أن أُقدم لهذا الكتاب، وفاء مني لزميل الكفاح، ورفيق الجهاد الوطني، فليس أحب إلى نفسي، من أن أكتب عن إخواني الذين عشت معهم أخصب سني العمر، في معترك النضال، ومن هؤلاء الإخوة الكرام، الشهيد سيدي عبد العزيز بن إدريس رحمه الله.

لقد كان الشهيد مثالا للوطنية المؤمنة، الجامعة بين الصوفية في السلوك، والتضحية في الكفاح، تمثلت فيه تلك الخصال الراقية، والسجايا الرفيعة، والشيم النبيلة، التي كانت ولاتزال من مكونات المجاهدين المخلصين، الذين نذروا أنفسهم لخدمة الوطن، وللدفاع عن سيادته واستقلاله، وحريته وكرامته. وكان الشهيد صورة مشرقة للمجاهد الوطني الشهم، ذي القوة والمناعة والقدرة على الصمود. عاش مناضلا مع إخوانه، مشاركا لهم في تأسيس الحركة الوطنية، وإذ كان من الجماعة الأولى التي انطلقت من فاس، في منتصف العشرينيات، يُوحِّد بينها الإيمان بحق الوطن، في أن يعيش حرا متمتعا بسيادته الكاملة. وقد رافق الشهيد عبد العزيز بن إدريس، في مطلع

حياته، إخوانه من شباب جامعة القرويين الناهض، الذين كان في طليعتهم أخونا الرئيس علال الفاسي، تغمده الله بواسع رحمته. وأثبت منذ انطلاقته الأولى، قدراته الفائقة، على تحمل أعباء النضال، حيث كان صلب العود، لا تلين له عريكة، ولا يضعف قط أمام الشدائد والمحن، صبورا في قوة وصحوة، واعيا بمتطلبات المعركة الوطنية التي انخرط في صفوف طلائعها الأول.

لقد عرفت أخانا المرحوم الشهيد سيدي عبد العزيز بن إدريس، في مطلع شبابي المبكر، لما كنت أتردد بين الحين والآخر، على مدينة فاس، لألتقي بإخواني هناك من طليعة الوطنيين، ثم عرفته في صفوف طليعة كتلة العمل الوطني، مناضلا يضرب المثل في الصمود، والثبات، وحدة الذكاء، والفطنة، وحسن الفهم للتطورات التي كانت تحيط بنا. وكان رابع أربعة قدمت مطالب الشعب المغربي لجلالة محمد الخامس في دجنبر 1934، والثلاث الذين كانوا معه وهم الفقيه غازي وأحمد الدرقاوي وأبو بكر القادري. ثم عرفته في الحزب الوطني، الذي تأسس في عام 1937 مجاهداً مع إخوانه، يتقدم الصفوف بعقله الراجح، وفكره الثاقب، وفهمه الواعي، وقدرته على تحليل الأوضاع، واستطلاع آفاق المعركة التي كنا نخوضها. وعرفته في السجن بعد ذلك، فرأيت فيه المؤمن الصابر، الثابت على المبدأ. ثم عرفته في الأدوار التي تلت ذلك كله، فكان نعم الأخ المجاهد، ونعم رفيق الطريق، تميز دائما بسمته الوقور، وهدوئه المتزن، وبأخلاقه الفاضلة التي تمت بأقوى الصلات إلى السلف الصالح. وفي جميع هذه الأحوال، وعبر جميع هذه المراحل، كنت أجد في الشهيد

العزيز، الإيمان الراسخ، والتقوى، والورع، والزهد في متاع الدنيا، والتفاني والإخلاص، في القول والعمل.

لقد كان الشهيد سيدي عبد العزيز بن إدريس، مثالا للعالم المجاهد، جمع بين التفقه في الدين، والتعمق في معرفة أحوال العالم من حوله، مع القناعة، والرضا، والزهد، والإقبال الكامل على العبادة، في خشوع عميق، من دون أن ينعزل عن الناس، وإنما كان شديد الاقتراب من مختلف الطبقات، خاصة الفئات الشعبية، من الحرفيين، وأرباب الصنائع، الذين كانوا يشكلون القاعدة العريضة لشعبنا، والوقود لمعركتنا. وكان الشهيد محتكا بالشعب، معلما وموجها، وداعيا إلى التعبئة، فكان مناضلا تلتف حوله الطبقات الشعبية، وتحبه، وتثق فيه، وتسلس له قيادها.

كما كان الشهيد سيدي عبد العزيز بن إدريس، رجل تربية وتوجيه وتكوين للناشئة، تعاطى في مرحلة مبكرة من حياته، مهنة التدريس والتعليم في المدارس الحرة، التي كان إنشاؤها في ذلك العهد، تحديا لإرادة المستعمر. وقد تخرج على يده الشباب الوطني المؤمن الواعي بقضية بلاده، حيث كان يجمع بين التربية والتعليم، وبين التعبئة الوطنية للشباب الناشئ، المتعطش إلى العلم، وإلى الحرية، والاستقلال، وقد كان لعطائه في هذا الميدان، الأثر القوي في تكوين الأجيال الجديدة، في ظل الحركة الوطنية الناشئة.

كان رحمه الله صادقا مع ربه، الصدق كله، حريصا على أداء واجباته الدينية، متحريا الصدق، والأمانة، والإخلاص في كل حركاته وسكناته. وكنت أرى فيه المؤمن الحق، الصادق

الساعي دائما في الخير للناس من حوله، وللوطن الذي آمن بقضيته. ولست أنسى جلساتي معه، في فترات متعددة، نتجاذب أطراف الحديث في موضوعات شتى، وألمس فيه العلم الواسع، والاطلاع الغزير. والفهم الدقيق، والإخلاص العميق، مع الإيمان الذي تشرق أنواره على محياه، فتضفي عليه وقارا ومهابة، هما صفتا المؤمن الصادق الصدوق.

وإن منزلة الشهيد عبد العزيز بن إدريس، في الحركة الوطنية المغربية، لهي منزلة سامية ـ لأنه كان من الرعيل الأول، ومن الطليعة المؤمنة المجاهدة، ولذلك فإن العناية التي أولاها الأخ الأستاذ محمد السلوي، أبو عزام، في كتابه هذا عن الشهيد بن إدريس ـ في تسجيل وقائع من حياته، وتدوين جوانب من كفاحه ـ يستحق عليها كل التقدير. فهذا الكتاب إنجاز بالغ الأهمية، تعززت به المكتبة المغربية، وسيكون إن شاء الله من المراجع التي يعود إليها الباحثون في تاريخ الحركة الوطنية.

وإني لأهنئ الأخ الأستاذ أبا عزام، على هذا الكتاب، وأستمطر شآبيب الرحمة على الشهيد سيدي عبد العزيز بن إدريس العمراوي... رحمه الله.



الأستاذ عبد الرحمن بادو

عبد الرحمان بادو كما عرفته

خلال زياراتي المتكررة لمدينة مكناس، واتصالاتي برجالها الوطنيين الصادقين، أمثال الإخوة : محمد بن احماد الديغوسي، وأحمد بن شقرون، ومحمد بن عزو، ومحمد برادة، ومحمد العيساوي، وإدريس الحمدي، كنت ألاحظ في بعض التجمعات الشعبية ضمن الكشفية الحسنية، التي كان يترأسها الأستاذ إدريس المحمدي في الأربعينيات وكانت تعتبر من المنظمات التابعة للحزب، الشاب عبد الرحمان بادو.

كانت الكشفية في قوة نشاطها، وكان المنخرطون فيها من خيرة الشباب المتوثب الملتحق بالدراسات المختلفة في سلكي التعليم الثانوي والعالي وكان من جملتهم الشاب عبد الرحمان بادو.

وعبد الرحمان بادو من أسرة وطنية معروفة، ومن جملة أفرادها الوطنيين، الوطني اللامع، المكّي بادّو، الذي كان معروفا بمكناس ببساطته وحيويته وغيريته.

لقد صار عبد الرحمان بادو يبرز في الشبيبة الاستقالية، كشاب نشيط مخلص لمبادئ الحزب، مومن بها، ومن خلالها، صار يتحمل مسؤوليات متعددة، ثم التحق بالخلايا الحزبية، ثم

مسؤولا في فرع الحزب، إلى أن انتقل إلى الرباط، ليأخذ مركزه في اللجنة الإدارية، ثم في المجلس الوطني، ثم في الأخير في اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال.

كان شابا متحمّساً ملتزماً بمبادئ الحزب منذ صغره، وكان الجو الوطني في مكناس وخصوصاً أواخر الثلاثينيات جواً ساخناً جداً، بعد نشاط حركة المعمرين الفرنسيين، الذين استأسدوا بعد استيلائهم على أراضي الفلاحين، وصاروا يغرسونها بأنواع المحروثات، ويسقونها بالطرق الجديدة التي دفعتهم إلى قطع الماء على مدينة مكناس، وعلى مساجدها، الأمر الذي أثار احتجاج المكناسيين، ومطالبتهم بارجاع المياه إلى مجاريها الطبيعية، فكانت حركة احتجاج قوية، شاركت فيها الحركة الوطنية بكل ثقلها، وقامت مظاهرات صاخبة، شاركت فيها المرأة المكناسية بحظ وافر، وألقي القبض على كثير من الشباب الوطني ورجال الحركة الوطنية، وصارت تدعى هذه الحركة الاحتجاجية، حركة الدفاع عن مياه (أبي فكران).

في هذا الجو المملوء بالوطنية، والتضحية، ومقاومة الاستعمار والمعمرين الاستعماريين، كان عبد الرحمان بادو يتزوّد وهو صغير، بالأفكار الوطنية، وكأنه يهيئ نفسه للمستقبل الذي ينتظره، وينتظر مشاركته في النضال، وجاءت الأربعينيات للتحرك للمطالبة بالاستقلال، ثم جاء حادي عشر يناير 1944 لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكان الشبان الملتحقون بالمدارس الثانوية والعليا، يعبّؤون للقيام بواجبهم الوطني، لتأييد وثيقة الاستقلال، وللقيام بتجمعات جماهيرية،

تلقى فيها الخطب الحماسية، وتُعبّأ فيها الجماهير الشعبية، للقيام بواجبها في المطالبة بتحرير البلاد واستقلالها.

أصبحت كلمة (الاستقلال) تُغري الشباب الوطني، وعندما تقدمنا بالوثيقة لجلالة الملك، وللدوائر الفرنسية نفسها، أصبح الهتاف بكلمة الاستقلال، هو الشعار الوحيد لدى الشباب الوطني، فانطلق الشباب وكأنما نشط من عقال، وكان عبد الرحمان بادو من هؤلاء الشبان المتحمسين المندفعين، وكأنه يهيئ نفسه ليأخذ مركزه أولا في نطاق الشبيبة الاستقلالية، ثم ثانيا وبعد تضحيات كبيرة، في نطاق تسيير الحزب، عندما انتخب عضواً في اللجنة التنفيذية.

هذا النشاط الذي كان يقوم به عبد الرحمان بادو، جعل الحزب يعينه في اللجنة الإدارية المكلفة بالشؤون الحزبية في مختلف الفروع، و لم يكن يختار لهذا اللجنة إلا الأفراد الذين، ثبتت وطنيتهم، والثقة بهم للاطلاع على كثير من نشاطات الحزب في الداخل والخارج، ومن جملة ما كان يقوم به رحمه الله أن التقارير التي يقدمها مفتشوا الحزب في مختلف الفروع، تدفع إليه ليلخصها في تقرير مختصر، تقدم نسخة منه، لكل عضو من أعضاء اللجنة التنفيذية.

وفي الخمسينيات عندما اشتدت الأزمة مع الجنيرالين : جوان، ثم كَيوم، والتي أدت إلى اعتقال أعضاء اللجنة التنفيذية بعد أحداث ديسمبر 1952 التي جاءت إِثْرَ إغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، عُيّن عبد الرحمان بادو عضواً في

اللجنة التنفيذية السرية الموقتة، والتي كان من جملة أفرادها معه، عبد الكريم غلاب، ومَحمد الدويري، وعبد الكبير بن المهدي الفاسي، ومسعود الشيكر.

حتى إذا جاءت أزمة غشت 1953 عندما امتدت يد الاستعمار إلى محمد الخامس، حيث أزالوه عن عرشه، ونفوه إلى كورسيكا، ثم مدغشكر، كانت اللجنة التنفيذية الموقتة تقوم بواجبها في التسيير، وفضح تآمر الاستعمار، وتنظيم العمل الاحتجاجي، وتنظيم المظاهرات في مختلف المدن المغربية، وفي هذا النطاق اتصل عبد الرحمان بادو بالمسؤولين في الحزب، بمدينة وجدة، وأعطاهم التعاليم للقيام بمظاهرات كبرى في وجدة وغيرها، احتجاجاً على ما يبيته الاستعمار ضد محمد الخامس، وهكذا كانت أحداث 16 غشت 1953 في وجدة، إنذاراً بأن المغاربة لا يستكينون، ولا يقفون مكتوفي الأيدي، إذا ما مس العرش المغربي، وهكذا بدأت الحركة الاحتجاجية والتضحيات الجسيمة، بالتظاهرات والفداء، دفاعاً عن العرش المغربي، من وجدة، لتنطلق بعد ذلك في مختلف أنحاء المغرب.

ولقد قدم عبد الرحمان بادو للمحاكمة، عندما اكتشفت الإدارة الاستعمارية دوره في أحداث وجدة، ونال من التعذيب والتنكيل أثناء استنطاقه، الشيء الكثير، ولقد شهد له بموقفه الوطني الشجاع، أثناء استنطاقه وتعذيبه، جلالة الحسن الثاني رحمه اللّه، الذي عُرّض هو نفسه بدوره للاستنطاق، أثناء محاكمة عبد الرحمان بادو. ولقد جمعنا معه سجن البيضاء في

سنة 1954 حيث قضينا مدة بذلك السجن، قبل أن ننطلق إلى السجن المركزي بالقنيطرة.

وجاء الاستقلال بعد رجوع محمد الخامس من منفاه منتصراً معززاً، ليأخذ مركزه في كثير من المجالات، فلقد عُين مديراً لإدارة السجون، وعُيّن كاتبا للدولة في الشؤون الخارجية، وعين سفيراً في بعض الأقطار، منها في النامسا، وفي السعودية ؛ وبيروت، بالإضافة إلى أنه كان قبل ذلك من المدافعين المقبولين في المحاكم.

وبعد تقاعده، عين مديراً لإدارة مركز الحزب، وكان موضع الثقة من إخوانه أعضاء اللجنة التنفيذية طوال مدة تسييره.

لقد كان عبد الرحمان بادو، وطنياً صادقاً في وطنيته، يعطي المثال في الصدق، والامتثال، والتضحية، ونكران الذات، وكان متديناً معتزاً بدينه وعقيدته، ممارساً لأداء واجباته الدينية، وزاده مُقامه في السعودية بضع سنوات، تدينا على تدينه، وكانت علاقته الزوجية مع شريكة حياته، علاقة محبة مثالية، فيها الوفاء والمودة والرحمة، رحم الله أخانا عبد الرحمان بادو، وأحسن له كل الإحسان، وأبقى ذكره في الصالحات آمين.



الأستاذ عبد الرحمان حجيرة

الأخ عبد الرحمان حجيرة
المجاهد الصادق

لم تمض عشرة أيام على فقد المغرب لأحد رجاله الصادقين، المرحوم بكرم الله الأخ عبد الرحمان بادو، حتى جاءتنا الأخبار من مدينة وجدة، بأن الأخ الوطني الصادق، الأستاذ عبد الرحمان حجيرة وافاه الأجل المحتوم صبيحة يوم السبت 29 دجنبر 2001 بعد مرض ألم به، وألزمه الفراش مدة غير طويلة.

لقد فوجئت باشتداد الأمر عليه، قبل انقضاء أجله، بنحو أربعة أيام، عندما اتصل بي أحد الإخوان هاتفيا، وترك لي خبرا بأنه تقريبا في حالة احتضار، فبادرت إلى الاتصال به هاتفيا أيضا، فما كان منه رحمه الله إلا أن يجيبني بنفسه، رغم عدم استطاعته الكلام، حتى أشفقت عليه، و لم أتركه يتمم الكلام، حتى لا أزيد في تعبه، ودعوت له بالشفاء.

وهكذا لما بلغني خبر وفاته، حزنت لوفاته، واسترجعت، ودعوت له بالرحمة والغفران.

إن موت عبد الرحمان حجيرة فاجعة أليمة، وأن فقدانه خسارة جسيمة، ولكن لا مرد لقضاء الله، وليس لنا إلا التسليم لما يقضي به سبحانه.

والواقع أن نوعية الرجال الوطنيين مثل عبد الرحمان حجيرة قليلة، وقليلة جدا، فالرجل قضى أكثر من ثلثي حياته في النضال الشريف، وإذا ما قلت النضال الوطني، فإنني أعني أن الرجل أعطى عهدا صادقا لدينه، ووطنه، وملكه، وهو لم يبلغ العشرين من عمره، وبقي ثابتا على هذا العهد، حتى بلغ السبعين من عمره، حيث لقي ربه، ليجازيه على قدر ما بذل من العطاء، وما قدم من الصالحات.

لقد آمن بربه، وأخلص لدينه، وقدم الصالحات لوطنه، وضحى التضحية الكاملة التي بلغت الحكم عليه بالإعدام في عهد الاستعمار، فما تزحزح، وما وهن، وما ضعف، وما نكص على عقبيه في يوم من الأيام، وبقي ثابتا قويا على مبادئه يدافع عنها بالجهر، ويحميها باللسان، والقلم، وحتى بالذات والفداء.

أمثال عبد الرحمان حجيرة قليلون، وحياته الوطنية كما عرفناها، ستبقى إن شاء الله مثالا يحتذى، وينبغي أن يستفيد من الاطلاع عليها الأجيال الجديدة، التي لا تعرف عن الذين سبقوها بالإيمان، إلا أقل القليل.

لقد ضحى عبد الرحمان حجيرة في عهد الاستعمار، حتى حكمت عليه المحكمة الفرنسية بالإعدام، وبقي يرزح في السجون مقيد الرجلين، حتى أتى الله بالفرج، بعد رجوع محمد الخامس رضوان الله عليه من منفاه، وأمر بإطلاق سراحه من سجن القنيطرة.

ولقد امتحن حتى في عهد الاستقلال، وفي الستينيات بالضبط، ثم في السبعينيات، في أحداث عين بني مطهر، فبقي ثابتا يدافع عما آمن به من أفكار، وما أراده لبلاده من حقوق.

وسواء داخل السجون، أو خارجها، كان عبد الرحمان حجيرة، وطنيا صادقا، مؤمنا ملتزما.

لقد عرفته رحمه الله في كثير من أطوار حياته، سواء قبل الاستقلال، أو بعد الاستقلال، فما رأيته يغير من أفكاره الوطنية، المنبعثة من إيمانه، بربه ووطنه، ومقدساته.

لقد كان مع زمرة صادقة من إخوانه في مدينة وجدة، المدينة الصامدة الصادقة، التي برهنت غير ما مرة على صدق رجالها الوطنيين، ومومنيها الصادقين، على أن الوطنية الصادقة ليست تجارة تبور، وليست كلمات وأقوالا تدعى، ولكنها جهاد متواصل، وعهد دائم، وإخلاص لا ينقطع، وصدق الله العظيم الذي قال وقوله الحق ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ ﴿من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا﴾ رحم الله أخانا عبد الرحمان حجيرة، وجازاه على ما قدم من الصالحات، وغفر له، إنه غفور رحيم، وعزاء لزوجته المحترمة المكلومة، وأبنائه وبناته البررة، وجميع إخوانه، وأحبابه، وأصدقائه، في وجدة وغيرها من الجهات المغربية. إنا لله وإنا إليه راجعون.

ملحقــات

رسائل
إلى الصديق المرحوم
قاسم الزهيري

عندما أصدرت في (سلسلة رجال عرفتهم)، جزءاً عن المرحوم قاسم الزهيري، نشرت في ملاحقه بعض الرسائل التي كانت وردت عليّ منه، في مختلف المناسبات، وتتعلق بمواضيع مختلفة، أهمها تتعلق بالظروف السياسية التي مرّ منها المغرب، والتي كان يطرح فيها عليّ بعض التساؤلات، أو بعض الاقتراحات، وكنت أتبادل معه الرأي فيها، حسب ما كنا نراه في تلك الظروف، فأكاتبه إمّا مجيباً، وإما متسائلا معه ؟



قاسم الزهيري

ولقد اتصلت بي بعد نشر الكتاب المذكور، أرملة الفقيد العزيز، السيدة حليمة حفظها الله، وأدام عليها نعمة الصبر والوفاء، فزودتني ببعض الرسائل التي كنت بدوري أوجّهُها لزوجها، في فترات من حياته، سواء لدى وجوده في المغرب،

أو عندما كان سفيراً في بعض الأقطار، ولقد رأيت من المفيد نشرها ضمن الجزء الخامس عشر من رجال عرفتهم، فهي وإن كانت جميعها تتعلق بقضايا سياسية، ولكنها مع ذلك تعبر عما كنا نتبادل فيها الرأي مع بعضنا، أو كان يعبر عن الصداقة والأخوة التي تربطنا.

وها هي عشر رسائل من الرسائل التي كنت كتبتها لقاسم الزهيري، أرجو أن يرى القارئون فيها بعض الفائدة.

6 جمادى الأولى 1426 **أبو بكر القادري**

3 يونيه 2006



تمثل هذه الصورة مقهى (مدينة موستار) في يوغوسلافيا، مع المرحوم قاسم الزهيري عندما كان سفيراً في يوغوسلافيا وبجانبه ابنه «رشيد» ثم أبو بكر القادري وكان ذلك سنة 1961

الحمد لله

شنغاي في 12 - 10 - 60

الأخ العزيز قاسم :

إليك تحيات أخيك وأشواقه.

تمنيت، وأنا في الصين، لو كنت صحفيا موجها للجمهور الشعبي، فكتبت ارتساماتي عما شاهدته بهذه الديار، ووضحت لإخواني المغاربة، تطلع شعب يبلغ أفراده ربع سكان العالم تقريباً، لبناء مستقبل زاهر، وبروح جديدة قوية، وعزيمة دونها الحديد.

لقد مضى على إقامتي بالصين نحو الأسبوعين تقريباً، زرت خلالها كثيراً من المؤسسات والمعامل والمدارس، واتصلت بمختلف الطبقات، من موظفين، وعمال، وشيوخ، وشباب، ورجال، ونساء، واستمعت إلى كثير من المحاضرات الموجهة (طبعاً) وحضرت تمثيليات وأفلاماً سينمائية، ومضيت في الشارع ألاحظ المارة، وتفقدت المساكين الشعبية، والأحياء الفقيرة، فارتسمت في ذهني بعد مشاهدة ما ذكر، ارتسامات، لا أقول إنها صحيحة كل الصحّة، ولكني أستطيع أن أدعي أن فكرة حقيقية، اختمرت في ذهني عن الصين الشعبية، وعن المستقبل الذي ينتظرها، والدور الذي ستلعبه.

إن زيارتي للصين، كانت جد مفيدة، كما كانت جد متعبة، وفي رأيي أننا ينبغي أن نفكر في توجيه بعثة مستطلعة للصين،

متركبة من نخبة من العاملين لمصلحة بلادهم، ويكونون مهتمين بتطور بلادهم في ميدان المعرفة، والاقتصاد، والتربية الخلقية الصحيحة، حتى يستطيعوا أن يدرسوا عن كثب، الوسائل التي تطبقها الصين في مختلف الميادين، والتي لا أظن أننا عاجزون عن تطبيق الكثير منها، إذا ما تظافرت الجهود، وصحّ العزم، وتولى الإدارة الأكفاء المخلصون.

إنني وإن كنت لا أسير مع المذهب التي تسير فيه الصين، بل لا أود لبلادي أن تسير معه، إلا أنني مع ذلك لا أجد أن سيرهم في بناء بلادهم في كثير من الميادين، يختلف كثيرا عما نريده لبلادنا، إن الصين تسير بخطى واسعة، ومتزنة في آن واحد، وهي تود أن تصل لهدفها بمختلف الوسائل التي بيدها، فتبني بالكهرباء، والبخار، والآلات اليدوية العتيقة، ولكنها في كل الأحوال تعتمد على نفسها، وتربي في شعبها خلق الاكتفاء الذاتي، ومقاومة الاستعمار المادي والفكري، مع كامل الاستعداد للتقشف، والاستغناء عن الرفاهية المزيفة.

إنك لو زرت معملا، أو مدرسة، أو مؤسسة كبرى، أو صغرى لخرجت متيقنا بأن كلا من أصحاب المعامل، والعمال، والمدرسين، والتلاميذ، مصممون العزم على خلق صين جديدة، ومقدرون تمام التقدير، ضرورة التعاون والتآزر فيما بينهم لرفعة شأن بلادهم.

إن الحزب الشيوعي، يقوم بدور التربية والتوجيه في كل الميادين، وفي كل الأوقات، لخلق جيل جديد، يفكر بعقلية جديدة، فهل يا ترى سيستطيع المغرب أن يأخذ عنه هذه الروح الجديدة، ويكيفها حسب تقاليد البلاد ودينها وأخلاقها.

لقد استطاعوا أن يربوا في شعبهم وعياً صحيحاً بكل الوسائل التي بين أيديهم، واستطاعوا أن يقتبسوا من الغير، كل ما فيه مصلحتهم، واستطاعوا أن يقضوا على الانحلال، والتفسخ، والذوبان في الغير.

بودي لو أطلت لك هذه الرسالة أكثر، فأتيت ببعض الملاحظات كذلك، ولكني أدع ذلك لفرصة أخرى، فإني استرقت هذه اللحظات، لأبعث لإخوتك بهذه الارتسامات، تحياتي لجميع الإخوان.

أخوك : أبو بكر القادري

الحمد لله وحده

سلا في 26 يناير 1963

أخي العزيز قاسم.

السلام عليكم ورحمة الله.

حقاً إن حظي في المسؤولية عظيم، فلقد كان الواجب يفرض عليّ بدوري، أن أكون البادئ بالكتابة هذه المرة، ويعلم الله أنني هممت مراراً مثل ما وقع لك، أن أفعل، ولكني أصرف عما أريد صرْفاً، وإذا كان لي من عذر أتقدم به إلى أخوتك، فهو زيادة على الأشغال العادية، بعض الأسفار التي قمت بها وأنت غائب، أولاها، كانت للجزائر الشقيقة، وثانيتها كانت لعاصمة العباسيين، ثم الديار المقدسة، حيث أديت سنة العمرة، ونعمت بزيارة قبر الرسول الأعظم ﷺ، وآخرها الرحلة التفقدية التي قمت بها في المغرب الشرقي، والتي دامت ثمانية أيام كاملة. فإذا أضفت إلى ذلك كله، أنني ـ كما تعلم ـ لا أحمل القلم إلا مكرهاً، فإنك ولاشك لا تؤاخذني مواخذة كبرى على هذا التقصير.

ساعته توصلت برسالتك الممتعة، ولا أخفي عنك أنها كانت تعبيراً صادقاً لما أعرفه عن قاسم في أخوته، وصداقته، وفي وطنيته وإخلاصه، وفي شعوره وصفاء طويته، وفي تجرده وصدق حديثه.

لقد أثرت في رسالتك عدة قضايا وطنية، كان من جملتها قضية التصويت على الدستور، وإني أحمد الله عزّت قدرته، أن

رأينا كان متفقاً، ونظرتنا كانت متحدة، وإني وإن كنت مثلك، لم أنظر إليه مطلقاً على أنه الصورة الكاملة التي كنا ننتظرها، ونعمل على تحقيقها كما عبّرتُ عن ذلك في المجلس الوطني للحزب، إلا أنني كنت مقتنعاً بأنه مكسب وطني، وخطوة أولى، وبداية في التنظيم، ولو قدر لك أيها الأخ أن تعيش معنا في المغرب، إبان تلك الفترات، ولو أتيح لك أن تساير ظروف تهييئه خطوة فخطوة، ولو تيسر لك أن تطلع على آراء الأصدقاء والخصوم، إذاً لما وسعك إلا أن تكون من المؤيدين للقبول، والمصوتين لصالح الدستور، إن فصولا في الدستور تتضمن بالفعل كثيراً من القيود، ولكن المحافظة على الوحدة الوطنية (الباقية)، وصيانة الانسجام بين العرش والشعب، الذي هو ضمان لهذه الوحدة الوطنية، والمواد الناصّة على إمكان تعديل بعض الفصول، كل ذلك دفعنا لأن نكون من المحبذين، ويعلم الله أننا لم نكن مدفوعين إلا بدافع الخير، والصالح العام، وغير متقيدين إلا بقيود الوطنية الصادقة، والإخلاص لشعبنا العزيز.

على أننا إن كنا نفكر هذا التفكير، ونسير في هذا المنهج، فإن غيرنا كان يرمي ـ حسبما يظهر ـ لغايات أخرى، وأهداف خاصة، وحسبي أن أذكر لك ما جدّ من أحداث، بعد انتهاء مرحلة الاستفتاء.

إن الخطاب الذي ألقاه الأخ علال في المجلس الوطني، كان صريحاً كل الصّراحة، ومستعرضاً الأحداث والوقائع بمنتهى الوضوح، ويظهر ـ والظهور هنا بمعنى اليقين ـ أن هناك من كان

يعمل على تنحية الحزب من التأثير، ويريد السيطرة على جميع المؤسسات التي لها بعض القوّة، غير مراع في ذلك إلاّ جانب مصلحته الخاصّة، **والتي يظنها مصلحته.** ولست أكتمك، أنني طالما عبّرت عن هذه التخوفات، وأنت تعلم رأيي الوطني، فلا داعي لاستعراض أحداث التاريخ.

لقد كان استعفاء إخواننا أمراً فرضته الأحداث، ورغماً من أن رأيي في دخولهم إلى الحكومة أول مرّة كان معروفاً، فإني بعدما عرض علينا الإخوان، الاقتراحات التي عرضت عليهم في التعديل، والشكل التي عرضت به، والغاية التي يرمي إليها هذا التعديل، كل ذلك جعلني أقبل استقالتهم، بل جعلني أنسجم مع تفكيري الأول، الذي أومن به منذ مدّة.

أما ما يتعلق بالإشراف أو المشاركة في وضع قانون الانتخابات، فإن وجودنا كان سيؤثر بعض الشيء، ولاشك، ولكنه مع ذلك ليس له من القوة والتأثير ما تكون له جدوى كبيرة، والمهم في نظري هو الاتجاه إلى الحزب، وتنظيمه على أسس قوية، وتسييره بإحكام وضبط، وتقوية جميع مؤسساته، وتدريب مسيريه وأعضائه على السير في النظام، وتطبيق المقررات، واشتغال جميع إطاراته العليا والسفلى، بروح تقدر مسؤوليتها، وتعرف واجباتها.

وهنا يجب علي أن أفتح قوسين، لأذكرك بما أرجو أن يكون عليه الحزب في التسيير، واتخاذ القرارات، فأنا لا أومن بالارتجال، ولا أومن بفرض الرأي، ولا أومن بالتقليد الأعمى،

ولا أومن باستعمال السياسة أية سياسة كانت، إلا إذا كانت مدروسة من جميع جوانبها، ومقدرة عواقبها، وعاملة على إقناع الذين يشاركون فيها. أما ما يتعلق بالمنفصلين عنا، فلست أعلم ماذا سيكشف عنه الغيب، وإن كنت ألاحظ أن الشقة لا تزيد مع الأيام إلا اتساعاً، وعلى الأخص فيما يتعلق ببعض القضايا الأساسية، ومن حيث نظرة بعض الأصدقاء من الجانبين إلى مشاكل المستقبل، وعلاقات الأفراد والجماعات، وبغض الطرف عن جميع ما ذكر، فإني مومن تمام الإيمان بأن الوضع في بلادنا يتطلب دراسة عميقة، واتخاذ القرار النهائي، على أساس هذه الدراسة التي ينبغي أن تكون موضوعية، ومجردة عن جميع الاعتبارات، ماعدا اعتبار مصلحة الوطن، وفي جو تسوده برودة الأعصاب، ويكسوه روح الصفاء والوئام، ولكن من يضمن لنا هذه الشروط، حتى لا نتيه في بحر لجيّ من المشاكل، إننا ننتظر، ولا يسعنا إلاّ أن نرجو من ربنا التوفيق.

لقد أتيح لي أن أتصل بمختلف الطبقات الشعبية، وخصوصاً أثناء الرحلة التفقدية التي قمت بها أخيراً في المغرب الشرقي، ويمكنني أن أؤكد لك، أن شعبنا كما نعهده شعب طيب، في حاجة إلى التوجيه الصحيح، ويتعشق المثل العليا، ويسير في ركاب المخلصين، ولكن علينا أن نزيل العراقيل التي تعوقه عن السير، وتتخلف به في الطريق، وتسخره لما لا خير له فيه، وإذا كان بعض الصحفيين يتصورون أن شعبنا شعب مغرور، وينساق لجميع الاتجاهات، فإن تلك طائفة معروفة، ولربما دفعتها بعض الأغراض، أو بعض التخوفات، ويقيني أنه إذا ما

أزيلت العراقيل، وامّحت التخوفات، فإن الشعب سيبقى سائراً في طريق الخير، متكاثفاً مع الجماعة التي خبَرها، واطمأن إلى مبادئها، شريطة أن تبقى تلك الجماعة متصلة به، معبّرة عن أمانيه، معطية المثل من نفسها، بتفانيها ووطنيتها وتواضعها.

تروج عندنا عدة إشاعات تتعلق بمحاولة تأسيس حزب جديد، وبالفعل وقع استدعاء بعض الشخصيات للمساهمة في هذا الحزب، ولكن الذي يتراآى، أن النتيجة لم تكن إيجابية، ومن جهة أخرى، فإن الحزب يعمل على حيازة «الأمّة الافريقية» اليومية، التي كانت تصدرها وزارة الشؤون الإسلامية عندما كان على رأسها الرئيس علال، ومن المعلوم أن الجريدة المذكورة أنشئت لغايات سياسية سامية، وكانت سياستها تهدف إلى ربط العلاقات الافريقية، وخدمة الأفكار الإصلاحية، وتنوير الأذهان، بزيادة التعريف بحقيقة الحضارة الإسلامية، والرسالة المحمدية، وهذا هو السبب الذي دعا الوزارة لإنشائها، أو دعا نخبة من أعضاء الحزب لإصدارها، والترويج لها، ولو بقيت الأمور تسير سيرها المعتاد، لما كان موجب ـ كما يذكر ذلك السيد علال ـ لحيازتها، ولكن التدابير التي اتخذت لضمها لكتابة الدولة في الأنباء، والترويج لسياسة أو خطة ربما تكون مصادمة للسياسة التي أنشئت من أجلها، كل ذلك جعل الجماعة تقرر حيازتها، وإصدارها باسم الحزب، وهذا ما هو واقع الآن، ولقد بلغنا أن بعض الدوائر أرادت التدخل، ولكن المسؤول عن الجريدة، أجاب بأن الجريدة تعتبر ملكاً لمن صدرت باسمه، ولذلك لا يمكن التنازل عنها لفائدة أي كان، كما بلغنا أن تلك الدوائر فكرت في إقامة دعوى على صاحب الجريدة، ولكنها لم تساعد على ذلك.

كم أنا آسف لما حدث من خلاف بين الجزائر وتونس، كما أسفت للأحكام القاسية التي صدرت ضد طائفة من التونسيين، وبالأخص لتنفيذ الحكم بالإعدام، وكل ما أرجوه لإخواني المسؤولين في أقطار المغرب العربي، أن يستفيدوا من الأحداث والتقلبات التي وقعت في المشرق العربي، وأن لا تكون فكرة وحدة المغرب العربي، فكرة خيالية، أو مفروضة من جماعة على أخرى. فإذا كنا حقاً نرمي إلى تحقيق هذه الوحدة، فعلينا أولا أن نحترم بعضنا بعضاً، وأن ندرس الوسائل الفعالة والممكنة والمتفق عليها، لإخراج الفكرة إلى الوجود. أما أن يتغنى كل بليلاه، ويريد فرض رأيه على أشقائه، فذاك من شأنه أن يبعد تحقيق الأهداف، ولا يساعد على تقريبها.

لقد مرّت على المغرب أيام حالكة، بسبب كثرة الأمطار، وقساوة البرد، وتوالي الفيضانات، الأمر الذي لم نعهده يقع في بلادنا، فاللهم لطفاً بعبادك، أما اليوم فقد أشرقت الشمس، وارتفعت درجة الحرارة، وأصبحنا وكأننا نعيش في فصل الربيع.

أكتب إليك ونحن في أول يوم من رمضان المعظم، فعسى أن يكون هذا الشهر مباركاً علينا وعليكم، وعسى أن يتقبل الله منا صيامنا ويهدينا سواء السبيل.

لقد بلغت زوجتي سلامكم، كما بلغت أبنائي تحياتكم، وهم جميعاً يبلغونكم تحياتهم وأشواقهم، راجين لكم توفيقاً وهناء وراحة بال، وإلى اللقاء أيها الأخ العزيز.

أبو بكر القادري

الحمد لله وحده

إفران في فاتح غشت 1962

الأخ الأستاذ السيد قاسم الزهيري.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أكتب إليك وأنا جالس أمام شلال إفران الجميل، والمتدفق ماؤه، المرتفع خريره، فلقد قصدت إفران مع أبنائي في العشرين من يوليوز، قصد قضاء بعض الأسابيع فيه، وإفران كما تعلم مصطاف جميل، وجوه في هذه السنة طيّب، وماؤه غزير، وبلديته معتنية على ما يظهر بنظافته، وتهييء جميل الوسائل لتشجيع المقام فيه.

ولقد فارقت إفران ثلاثة أيام، قصدت فيها مدينة طنجة، حيث كان اجتماع المجلس الوطني للحزب، ولقد كان اجتماعاً موفقاً، خصوصاً في جلستيه الثانية والثالثة، ولقد اتخذت فيه عدة مقررات، وخرجنا فيه بعدة ملتمسات، لاشك أنك اطلعت عليها بجريدة «العلم» وهي تتصل اتصالا وثيقاً بالحالة العامة، أما التحوير الوزاري الذي وقع، فلم يكن ذا بال، و لم تعلق عليه أية أهمية، وغاية ما وقع فيه، أن السيد جديرة، دعّم سلطته بتنصيب شخص صديق له في كتابة الدولة بالداخلية، هو السيد المفضل الشرقاوي، ونحن كما تعلم لا يهمنا تنصيب فلان، أو تعيين آخر، مادام المقصود لدينا، هو الشخص الذي

يشتغل بجد ونزاهة، وعلى كل حال، فالعبرة ليست بالرجل، وإنما هي بالسياسة التي تتبع، ولست أخفي عنك أن تسيير الشؤون ببلادنا، ليس مبنياً على أساس منطقي معقول، ولا يرجع فيه لمسطرة معروفة ومتبعة، لقد سمعت في إذاعة اليوم أن السيد المهدي بن عبد الجليل، تعيّن سفيراً بألمانيا، عوض السيد عصمان، كما تروج إشاعات أخرى عن تعيينات جديدة، وهي موقف الحركة الشعبية من الحكومة، ومن جهة أخرى، فإن جريدة كَديرة «المنار»، شرعت في تهجماتها علينا، ولعل أسباب ذلك ترجع لاعتبارات لا تخفى على اللبيب مثلك.

أما ما يتعلق بجمعية شباب النهضة الإسلامية، فلقد تقدمنا بقوانينها للدوائر المسؤولة، وسنباشر العمل عند العودة من إفران بحول الله.

ذكرت برسالتك التي وصلتني مؤخراً، أن الله تعالى أبدلك بما هو أحسن، وأن حليمة والأبناء، مرتاحون جدا، فهنيئاً لك ولأهلك، وأتمنى أن تتيح لي الظروف زيارتك في أقرب فرصة ممكنة، إنني أشتغل الآن ببناء بعض الأقسام بالمدرسة، وكذلك أعمل على بناء مختبر للأقسام العليا، وبالرغم من سفري، فإنني أتتبع عملية البناء من مصطافي، فإذا وفقت وأنهيت أعمالي في الوقت المناسب، ووجدت فرصة للسفر، فإني لا أضيعها، وسوف تكون يوغسلافيا المقصد الأول بحول الله.

احتراماتي لعقيلتك، ودعواتي لأبنائك، وإلى اللقاء في فرصة أخرى.

أبو بكر القادري

الحمد لله وحده

يـنـايـر 1964

أخي العزيز قاسم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تسلمت رسالتك منذ خمسة أيام تقريباً، إلا أن توعكاً طرأ على صحتي، فاضطرني لملازمة الفراش نحو 12 يوماً، كان السبب في تأخير الجواب، واليوم وقد بدأت أشعر ببعض الراحة، أراني ملزماً بتوجيه هذا الخطاب إليك، راجياً أن تكون وعقيلتك ممتعين بصحة جيدة.

يمكنني أن أخبرك بإن رسالتك هي الأولى والوحيدة من الرسائل التي تحدثت لي بإسهاب، عن العدد الأول من «الإيمان» وإذا كان لي من تعقيب أول، على ملاحظاتك المفيدة، فهي أنني جد مسرور من هذه الملاحظات، التي دلتني على أنك درست بموضوعية وتجرّد وإخلاص، ما جاء في العدد المذكور، و لم تكتف بإلقاء نظرة سطحية على الموضوعات والمقالات، كما أنك صارحتني برأيك بكامل الوضوح، ولو أتيح لكل مشروع كمشروع المجلة، أن يلقى من أحبائه والمعتنين به، مثل ما لقيته «الإيمان» منك، فينقد بنزاهة، ويدرس بإمعان، لما صارت المشاريع تتخبط في المشاكل والصعوبات، إلى أن يصير مآلها الإفلاس، والإقبار، فلتسر أيها الأخ الكريم في ملاحظاتك القيمة، ولتأخذ مني وعداً قاطعاً، بأنني سأكون دائماً وأبداً متقبلا لها، آخذاً بما فيها من توجيهات وتنبيهات، على أنني لا

أخفي عليك أن خلو مشروع كمشروع المجلة، مما يدعو إلى بعض الملاحظات، ربما يكون من المستحيل، ولو بقي الإنسان آخذاً بفكرة أن لا يقوم بأي عمل، إلاّ إذا كان متوفراً على جميع شروط الكمال، ربما يدفعه أن لا يقوم بأي مشروع، فلقد جرّبت كثيراً هذا الميدان، واطلعتَ على أن الإنسان إذا ما حاول إصدار مجلة مثلا، فلربما لا يلقى من التشجيع، وخصوصاً ممن ترجى مساعدتهم ومساندتهم، لا يلقى إلا القدر اليسير، إنني متفق معك تمام الإتفاق على أننا نبذل جهدنا وما في استطاعتنا، لأن تصدر المجلة في المستوى المرجوّ، ولكني لا أضمن لك أن يكون هذا باستمرار، فلا يخفى عليك الكسل العقلي، الذي يملأ جوانب كثير من كتابنا، ولا تخفاك الصعوبات التي تحف مثل هذه المشاريع، وكيفما كانالحال فإني أشكرك من أعماقي على اهتمامك وصراحتك، راجياً أن لا تبخل على المجلة بمقالاتك، وتوجيهاتك، بالإضافة إلى انتقاداتك.

الجو السياسي لازال لم يتغير عن ذي قبل، فالبرلمان لازال اسما بدون مسمّىً، والحكومة الجديدة، لازالت لم تطلع علينا ببرامجها، وميزانية الدولة لسنة 64 في حالة مرعبة، والشعب لازال ينتظر. لست أدري المخرج الذي ستنقذ به بلادنا من المشاكل التي ترتطم بها، وأظن أننا بحاجة أكيدة أكيدة إلى نقد ذاتي صريح، كما أن جيلنا الجديد، في حاجة إلى تكوين وطني صحيح، إن ضمان المستقبل، يتطلب دراسات جمة، وفي مختلف الميادين، فعسى أن يهتدي المخلصون للطريق.

أرجو أن لا تبطأ عليك هذه الرسالة مثل سابقتها، ولتبلغ سلامي لعقيلتك وإلى اللقاء.

أخوك : أبو بكر القادري

الحمد لله وحده

5 شتنبر 1964

الأخ العزيز قاسم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد وجهت إليك بطاقة صغيرة، عندما كنت أقضي عطلتي بطنجة، فأتمنى أن تكون قد توصلت بها، وآمل أن تكون وأبناؤك وعقيلتك ممتعين جميعاً بصحة جيدة، وراحة بال.

لقد قرّ عزمنا على أن نقيم حفلة «العقد» للبنية «كريمة» أصلحها الله، وذلك يوم الجمعة الآتي 11 شتنبر 1964، وكم يكون جميع أفراد العائلة، سعداء وبالأخص «كريمة» وأباها، إذا ما أمكنك أن تشاركنا في هذه الحفلة التي سنقيمها بهذه المناسبة، وكم نكون جميعاً سعداء إذا ما شاركتنا «حليمة»، بدورها في هذا الاحتفال. إنني لا أستدعيك، ولا أستدعي «حليمة»، لأني أعتبر أن «كريمة» بنتكم، ومنكم، وإليكم، وهي بمثابة الأخت «لحليمة» وشأن الأخت أن لا تستدعَى، وإنما تخبّر. وشأنها كذلك أن تتغلب على جميع العوائق، ومن جملتها بعد المسافة، لتشاطر أختها فرحتها، وتشاركها في الحفلة التي ستقام بمناسبة عقد قرانها، أما العم فهو بمنزلة الأب.

لقد كان بودي أن أكتب لك قبل هذا التاريخ، وعندما كنت بطنجة بالذات، ولكن الظروف لم تساعدني، ولعلكم لا

تعتبرون وصول الاستدعاء مؤخراً عذْراً لكم في عدم الحضور، ولعلكم تستطيعون أن تخلقوا مناسبة من المناسبات، تسمح لكم بالمشاركة، فهل لي أن أتلقى منكم نبأ قريباً بأنكم في طريقكم إلى الرباط ثم سلا ؟ وهل لي أن أطمّن كريمتي، بأن عمها قاسماً، سيحضر في حفلة عقد قرانها، وأختها «حليمة» ستشاركها بدورها ؟ إنني أنتظر، وإنني أُلحّ أن يكون الجواب حضورياً، وبهذه المناسبة أود منك أن تذكّر «ربيعة»، بأننا لا نسمح لها بالتأخر مطلقاً، لأنّ حفلة «كريمة» لا يمكن أن لا تشارك فيها، لا بالحضور فقط، ولكن بالتهيئ أيضاً، خصوصاً وقد اشترطنا عليها ذلك قبل أن تقرر سفرها إلى الجزائر.

لقد اطلعت في الصحافة «اليوم»، أنكم قابلتم الرئيس ابن بلاَّ، وإني آمل أن يكون هذا اللقاء مدعاة لزيارتنا، وحضوركم إلينا في الوقت المحدود أي في 11 شتنبر بالذات.

أرجو أن تبلغ سلامي لعقيلتكم المحترمة، وجميع أبنائكم البررة، وكذلك لربيعة، وفي انتظار وصولكم، تقبلوا عواطفي المخلصة، وإلى اللقاء القريب بحول الله.

أخوك : أبو بكر القادري

الحمد لله وحده

سلا في 16 مارس 1967

الأخ الأعز قاسم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كان بودي أن أكتب لك بمجرد وصولي إلى المغرب، ولكن المضاعفات التي طرأت على صحة الرئيس علال، والأشغال المستعجلة التي وجدتها تنتظرني، حالتا بيني وبين تحقيق ما أريد، والحقيقة أنني أشعر بسعادة وغبطة من جراء مقامي بين ظهرانيكم، وتحت رعايتكم واهتمامكم، والواقع أنني أشعر وأنا مقيم معكم في بيتكم، كأنني في بيتي، وبين أبنائي، وأهلي وعشيرتي، فزيادة على الأخوة التي تربطني وإياك، هذه مدّة تزيد عن الثلاثين سنة، ما رأيت منك فيها إلا الوفاء للأخوة، والصدق في المعاملة، فإن حسن الاستقبال، وجميل الرعاية، وكرم الضيافة، الذي ألقاه من عقيلتكم، يجعلني أنظر إليها بمنظار كريمتي، أو أختي، فكثير هم أولئك الأصدقاء الذين أعتز بصداقتهم وأخوتهم، ولكن القليلين منهم، من أشعر في جوهم العائلي، أنني بين أهلي، وإخواني، وعشيرتي الأقربين، ولقد تأكد لي ذلك مراراً وتكراراً، فما رأيت من «حليمة» إلا التقدير، والبرور، والاعتناء، فهل يا تُرى سأكون مضطراً لأن أشكركم على جميل اعتنائكم وبروركم ؟ إنني أستحي أن أتجرأ

على كلمة الشكر، لأني أشعر معكم، أننا أسرة واحدة، وهل في إمكان الإنسان أن يتقدم بشكره لنفسه ؟ ولكن لابد من الاعتراف بالجميل، وذاك جزاء الأوفياء.

لقد حدثت «زينب» وبناتها، عن الراحة التي كنت أشعر بها في تلك الأيام القليلة التي قضيتها معكم، كما حدثتها عن مساعدة «حليمة» لي، في شراء الحوائج التي اشتريتها، وعن الاختيارات التي كانت تختارها لأخواتها الصغيرات، وعن تلاقي أذواقنا في كثير من الأشياء، فسُرَّت من اهتمام «حليمة» العزيزة، ودعت لها بطول العُمر، ودوام السعادة، حتى ترى في «مليكة» و«مريم» ما يسرها ويثلج صدرها.

أخي ! لا أود أن أطيل عليك أكثر، وإنما هي كلمة صدق، تقبلها من أخيك الذي يضمر لك بدوره كل وفاء، ويحمل لك بين جنبيه كامل التقدير.

أرجو أن تكون الصغيرة «مريم»، استأنفت حياتها الدراسية في أتم الأحوال، واستعادت صحتها الكاملة، ونشاطها المعهود، كما أرجو أن تقبل البنية «مليكة»، وتبلغ سلامي للابنين البارين: أمين، ورشيد، أصلحهما الله، وكذلك «لدادة» والخادمة «فاطمة» ومنا يقرؤك السلام، جميع الأبناء والأهل والإخوان، ولتدُم في رعاية الله والسلام.

أخوك : أبو بكر القادري

الحمد لله وحده

سلا في 11 ذي القعدة 1392 موافق 21 دجنبر 1972

الأخ الأستاذ السيد قاسم الزهيري.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلتني مؤخراً بطاقتكم، معبرة عن متمنياتكم الصادقة، وإني إذ أشكركم على تذكركم لأخيكم، أتمنى لكم ولعقيلتكم ولأبنائكم، مقاماً طيباً، وحياة مقرونة بالهناء.

لقد ازدادت لدى البنية «سعاد» مولودة سعيدة، أسمتها «مريم» ولقد اغتنمت فرصة سفري إلى بيروت أواخر الشهر الماضي، فعرَّجت أثناء رجوعي على لندن، حيث قضيت مع «سعاد» أربعة أيام.

أتمنى أن تكون سعيداً بمقامك ببكين، ولقد سبق لي أن زرتها منذ عشرة أعوام تقريباً، وكم كنت معجباً بالتقدم الذي تحققه حكومتها في مختلف الميادين، ولاشك أن تقدماً حصل منذ عشرة أعوام، وبالسرعة التي تسير بها الصين في مختلف الميادين.

تحياتي واحتراماتي لحليمة، ولجميع الأبناء، وإلى اللقاء.

أبو بكر القادري

الحمد لله وحده

بيروت الأحد 1 أبريل 1973

الأخ «قاسم».

إليك أطيب التحيات وإلى «حليمة» أزكى السلام.

لم تتح لي الكتابة إليك جواباً عن رسالتك الأخيرة، نظراً لكثرة الأشغال، وتراكم المشاكل، وقلة المعين.

وها أنا أكتب إليك من بيروت التي حللت بها منذ ثلاثة أيام، لحضور اجتماع الأمانة العامة للجبهة الوطنية المشاركة للثورة الفلسطينية، أكتب إليك مقدراً تمام التقدير تخوفاتك وإحساساتك في هذا الظرف الدقيق الذي تجتازه بلادنا.

والواقع أن مرور الأيام وتعاقبها، لا يزيدان القضية إلا تعقيداً، ولا تزيد معها المشاكل إلا تراكماً، ولقد تنبأنا بما نحن فيه منذ سنوات خلت، ولطالما حذرنا، ونصحنا، وأخلصنا ـ يعلم الله ـ ولكنا لم نجد الآذان الصاغية، ولا القلوب الواعية.

حالة بلادنا تسير في تطور مزعج ومخيف، وأخوف ما أخافه عليها، هو هذا التحول في الأفكار التي نرى عليه الشباب، سواء منه الشباب الجامعي، وحتى الثانوي، فلقد عدم هؤلاء الشباب المقاييس التي يقيسون عليها اتجاهاتهم، ونظراتهم للقضايا، وفقدوا الموجهين الخلصاء، والمربين المخلصين، وأصبحوا معرضين لاتجاهات منحرفة، وأفكار طائشة، استغلت الفراغ

الذي يعيشون فيه، والتوجيه السديد الذي افتقدوه، فعشعشت وباضت وفرخت، وسنجني منها الحنظل لا قدر الله، إن لم يتداركنا ربنا بألطافه.

ولا أودُّ أن أطيل في الموضوع، فكل هذا ناتج عن الخط المعوج الذي سارت عليه التوجيهات السياسية في بلادنا، والتي أصبح يسيرها أفراد وجماعات، لا يومنون بفكرة، ولا يشعرون بواجب، وليس لهم منهج في الحياة يدافعون عنه، ويودون حمايته، وإنما يقتنصون ويستفيدون، وحسبهم التربع على الكراسي، والاستفادة المادية من الحياة.

أضف إلى ذلك أن الرأي الوطني الذي يعتبر السند الحقيقي للإصلاح، أُبعد من الميدان، فلم يلتفت إليه، و لم يعمل طبق تخطيطاته وتجاربه، وافتقدت بلادنا أحسن ما لديها، وضاع لوطننا أثمن ما يعتز به من أبناء صالحين، ويزاد على ذلك أن الزمرة الصالحة في الأمّة، انقسمت على نفسها، فجزء منها، ذهبت به الرياح ذات اليمين، وآخرون طوَّحت بهم في متاهات بعيدة المنال، وطائفة جرّها السيل في أعقابه، فتنكرت لكل المبادئ والقيم، ونسيت الله فأنساها أنفسها، وحقيقة مصالحها، وطائفة تعيش في غربة، ليس لها من الأمر شيء، تهمّ بالإصلاح، ولكنها تجده بعيد المنال، وتطمح إلى الخير، ولكنها تجد العراقل دائماً أمامها.

وبالرغم عن ذلك فلا يحق لنا أن نيأس، ولا أن نمل، وإنما علينا أن نتابع العمل قدر ما نستطيع، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وتثبيت ما يجب إثباته.

إنك تعلم التطور الذي سارت عليه الأمور، منذ فجر الإستقلال، وسواء كان الحق في جانب هذا، أو في جانب ذاك، فإن الحقيقة التي لا يمكن أن تنكر، هي أنه كان هناك تخطيط لإبعاد الوطنيين الحقيقيين عن المساهمة في تسيير شؤون بلادهم، وفق ما جاهدوا له السنوات الطوال.

وإذا ما قلت المساهمة، فلا أعني مطلقاً الاستحواذ على التسيير، والاحتكار للتخطيط، وإبعاد من يحق لهم أن يساهموا بدورهم في بناء بلادهم وتنميتها، والدفع بها إلى الأمام، وهذه المساهمة كانت ضرورية وأساسية، لأن فيها الضمان الأكيد للإصلاح، والحارس الأمين لبقاء القطار يسير في السكة المعدّة له، ولكن الأمور سارت على عكس ما كان ينبغي أن تسير فيه، وهكذا أصبحنا ننحدر وننحدر، إلى أن بلغنا لهذه المرحلة التي تعيشها بلادنا اليوم.

وكيفما كان الأمر، فإن الواجب الوطني يفرض علينا أن نفكر جديا في كل العواقب، وننظر وبإمعان، لما تتعرض له بلادنا من أخطار، لا قبل لنا بها، إن نحن لم نزن الأمور بميزانها الحقيقي، وننقذ ما يمكن إنقاذه لصالح وطننا العزيز.

إنك تعلم حق العلم، أنه ليس من طبيعتي المغامرة والانسياق مع الأهواء والعواطف، ولذلك فإني أتمنى من أعماقي أن يوفقنا الله، ويوفق ولاة أمورنا، للبحث عن مخرج، يقي بلادنا من الهزات العنيفة التي تعصف بها، فيتفق الجميع على كلمة سواء، ويضع كل من يعنيهم الأمر من الوطنيين، والمسؤولين، برامج

للعمل، تضمن لبلادنا السير في الطريق التي تُريدها لها، وتتحقق لها مطامحها في العدالة، والتقدم، والبناء، ويتعاون الجميع على ما فيه خير البلاد وسعادتها.

إنه بغير هذا التعاون المبني على الصدق، والثقة، والاستفادة من التجارب التي مرّت علينا، لا يمكن أن تصحح أوضاع، أو تصلح أخطاء.

فعسى أن يتوفق من يعنيهم الأمر، من مسؤولين، وغير مسؤولين، إلى إدراك حقيقة مصالحهم، وعسى الله أن يجعل لنا من أمرنا مخرجاً، ويبدل عسرنا يسراً.

تحياتي لعقيلتكم المحترمة، وقبلاتي لأبنائكم البررة، وإلى اللقاء في فرصة أخرى.

أخوكم : أبو بكر القادري

ملاحظة :

لم أوجه الرسالة من بيروت، وإنما تأخر بها الإرسال، إلى أن حللت بلندن، لصلة الرحم مع «سعاد» التي تبلغك وحليمة سلامها.

معذرة في الأخير على الرسالة التي كتبت عن عجل فجاءت كما تصلك.

الحمد لله وحده

باريز في 17 يونيه 1973

الأخ العزيز قاسم.

بعد السلام والتحية.

أكتب إليك من باريز، التي زرتها منذ يومين، زائراً بنيتي «سلمى» ومتفقدا حالتها الصحية، وأود أن أغتنم هذه المناسبة، لأعبر لك ولزوجتك عن عواطفكما الطيبة، فلقد مكنتني السيدة فاطمة حصار من رسالتك التي تبحث فيها عن حالة «سلمى»، التي تتمنى لها الشفاء العاجل بحول الله، فتقبل الله دعوتك، ولا أراك بأساً في أبنائك، وجميع أعزائك، آمين.

لازالت البنية تتابع العلاج الذي أشار به الأطباء، وهي في حالتها العامة، مرتاحة من العناية التي يوليها لها الطبيب الذي يعالجها، ولربما ستقضي ثلاثة أيام، أو أربعة، داخل المستشفى لمتابعة العلاج، فنرجو الله سبحانه أن يستأصل الداء من أساسه، وأن يسدل عليها سرابيل العافية.

لقد كتبت لك رسالة من لندن في أبريل الماضي، جواباً عن رسالتك ما قبل الأخيرة، فأرجو أن تكون توصلت بها، لأنك لم تشر في رسالتك الأخيرة إلى وصولها.

الحالة العامة بالبلاد لازالت كما هي، وكل المخلصين يتمنون من أعماقهم، أن تتبدّل لما هو أحسن، فيسير الجميع في طريق البناء.

لاشك أنك متتبع التطورات التي تسير فيها القضية الفلسطينية، التي تعتبر بحق قضية الساعة بالنسبة لنا، ويلاحظ أن قوى الشر، تعمل على تصفيتها، بما يؤكد الوجود الصهيوني، ويثبت أقدامه، والواقع أنها مشكلة في منتهى التعقيد، نظراً لتواطؤ الجميع، بما فيهم بعض قادة العرب، ضد إخواننا الفلسطينيين، أما بالمغرب فنحن نعمل جهدنا، لمد إخواننا بما نستطيعه، سواء في الميدان الأدبي، أو الميدان المادي، والفلسطينيون يعترفون بما يقدمه لهم المغرب، ملكاً، وشعبا، من مؤازرة وتأييد، ولكن القضية التي تشغل بالهم الآن، هي محاولة تصفية وجودهم بالأراضي اللبنانية، الموقع الوحيد الذي لازالوا يتحركون منه، ولذلك تراهم يستنجدون بكل من يستطيع أن يشد من أزرهم، ويقدم لهم ما يستطيع من عون، حتى تمرّ هذه الفترة طبق المرغوب.

أنا الآن في طريقي إلى بيروت، لحضور اجتماع الأمانة العامة للجبهة المشاركة للثورة الفلسطينية، وإني آمل أن يسفر الاجتماع عن نتائج إيجابية، تفيد القضية المقدسة، ولعلك هناك في تلك الأصقاع، تستطيع أن تبذل لإخواننا بعض العون، فتشرح للمسؤولين، الظروف التي تمر بها القضية الفلسطينية وتؤكدعليهم في الزيادة من العون.

لقد وجهت لك منذ مدة، كتيبا أصدرته تحت عنوان : في سبيل بعث إسلامي، فلاشك أن توصلت به، أما بحثك الذي نشرته مجلة الثقافة المغربية عن المسلمين في روسيا، فهو بحث قيم، ولقد قرأته باهتمام كبير، واستفدت منه كثيراً، أما نحن فسنحتفل بمرور أربعين سنة على تأسيس المدرسة، لا أشك أن احتفالنا سيسرك كثيراً.

احترامي وسلامي لعقيلتك، وتحياتي لجميع الأبناء، ومن هنا سلمى، وفريد، يقرآنك سلامهما، وإلى اللقاء بحول الله.

أبو بكر القادري

الحمد لله وحده

الأخ العزيز الأستاذ قاسم الزهيري.

السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أود قبل كل شيء أن أعتذر لإخوتك عن تأخري في الجواب عن رسالتك المؤرخة بحادي عشر نونبر 1991. والسبب هو كما ذكرت لك هاتفياً، أن الاقتراح الذي اقترحت عليّ النظر فيه، وهو تأسيس جمعية للموقعين على وثيقة 11 يناير 1944، نظراً للأسباب والدواعي التي شرحتها في رسالتك، رأيت من الضروري أن أعرضه على إخواني في الحزب، بسبب أن الفكرة كانت راجت عند اللجنة التنفيذية، منذ أكثر من سنتين، واتخذت فيها بعض المقررات، وإن كانت لم تدخل لحيز التطبيق. وبالفعل اتصلت بالإخوان : مَحمد بوستة ومَحمد الدويري وعبد الكريم غلاب الذين سبق أن ناقشوا الموضوع، وعرضت عليهم اقتراحك، فرأوا أن الفكرة مقبولة، وضرورية التطبيق، على أن يدخل عليها بعض التعديل، بحيث تتكون الجمعية من أصدقاء وثيقة 11 يناير 1944 بالإضافة إلى الموقعين، حتى يضمن للجمعية الاستمرار، سواء في حياة الموقعين، أو بعد ذلك، وحتى تستطيع أن تقوم ببعض النشاطات الثقافية المبلورة للفكر الوطني السليم.

ولقد رأى الإخوان مع ذلك أن يعقد اجتماع تحضره بنفسك، ويحضره الإخوة المذكورون أعلاه، حتى تناقش

الفكرة من جميع جوانبها، ويُضمن النجاح لما تهدف إليه الجمعية التي ستؤسس[1].

ولقد كان بودي أن أزورك في أسرع وقت ممكن، لأتحادث معك في الموضوع، ولكن خشيت أن لا تسمح لي الأقدار بزيارتك غدا، أو بعد غد، فكتبت لك هذه الرسالة الجوابية، مؤملا أن نلتقي قريباً بحول الله.

مع تحيات أخيك **أبي بكر القادري.**

سلا في 16 جمادى الأولى 1912.
26 نونبر 1991.

(1) رغم ما أبديته من إلحاح، لاخراج الموضوع إلى حيز الوجود، لم يقدر له ذلك لأسباب أجهلها.

رسالة من زعيم حزب الاستقلال محمد علال الفاسي إلى أحد الطلبة الاستقلاليين الذين يدرسون بباريز

الحمد لله وحده. طنجة فاتح يونيه 1950م.

وصلتني رسالتك، ومعها المكتوب الذي بعث لك به بعض الإخوان، يناقشك في بعض المواقف الحزبية، فأشكرك على عنايتك، وأعتذر لك عن عدم الإجابة فورا، لأن أشغالا استثنائية ترجع لقضية الشمال الإفريقي، كانت تؤخرني، وإني لأؤكد لك ولجميع أصدقائك (المخلصين) أنني مستعد لإعطائكم الإيضاحات الضرورية، عن مواقفنا، لتنير لكم سبيل التفكير الصحيح، والاتجاه النير في مستقبل هذا الوطن المغربي العزيز.

تتضمن رسالة الأخ الذي كتب لكم موضوعين اثنين :

1- ما يتصل بالمنهج النظري للحزب :

يرى الأخ أن حزب الاستقلال، يتبع **سياسة سلمية،** ولا يريد أن يربى الشعب تربية تحمله على التضحية، ولا يترك العامل فيه يتتكر، ولا يوجهه إتجاها ثوريا، بالمعنى الماركسي للكلمة، وأنه يظهر ديموقراطية من ورائها تحكم إلخ...

فأما كون الحزب يتبع سياسة سلمية فهذا صحيح، إذا كان يقصد بالسلم عدم استعمال حرب مسلحة، والحزب يعتقد أن هذه الطريق ضرورية لأمرين :

أولا : وهي نقطة سيكولوجية، لتربية الجمهور المغربي، وبعث روح العمل في نفسه، وذلك أن المغاربة عسكريون قبل كل شيء، وهم لم يكونوا قادرين على المقاومة بغير طريق القوة المسلحة، ولكنهم كلما فقدوا السلاح، ماتت نفوسهم واستسلموا للغالب استسلاما مخزيا، والمثل المغربي يقول : (من غلبك وتركك حيا، فقد عمل فيك الخير)، ولقد قاوموا جد المقاومة العسكرية، مدة 33 سنة، وفشلوا في النهاية، فأصاب نفوسهم ما هو من طبيعتهم، من الاستسلام للعدو، عند التجرد من السلاح، فكان من واجب الذين ابتدأوا الحركة، أن يقاوموا قبل كل شيء هذه الذهنية في نفوس المغاربة، وأن يجعلوهم يدركون بأنه حتى بوسائل سلمية، يمكننا أن نرغم العدو على النزول عند إرادة الأمة، وإذا كان الشعب يتحرك بين الآونة والأخرى، وإذا كان أفراده الكثيرون، يضحون ويموتون من أجل قضية بلادهم، فليس ذلك إلا لأن الحركة السلمية علمتهم، أن السلم العذب، حرب قاسية أيضا في كثير من الأحيان. ونحن لا نمنع الذين يريدون أن يشعلوها حربا مسلحة، إذا كانوا قادرين على ذلك. إما أن نعرض الشعب ليكون موضع انتقام الأعداء، ونحن ليس لنا من الوسائل المادية ما يبعث في نفوسنا الأمل على نجاح عمل عسكري في بلادنا، في الظروف الحاضرة، فهذا من الطيش الذي لن يكون له إلا رد فعل سيء، في نفوس المغاربة قبل



الأستاذ محمد علال الفاسي

غيرهم، وليس يسوءنا أن يكون من بين أعضاء الحزب، من يومن بالعمل المسلح، بشرط أن لا يكون عقله الباطن، يردد عقلية آبائنا الأولين، الذين يستسلمون إذا فقدوا السلاح، ويخضعون للعمل تحت لواء الفاتح، أو للعمل تحت راية أجنبي آخر، بقصد الانتقام من الفاتح. ويمكن لعضو الحزب أن ينشر دعوته إلى العمل المسلح، بقصد إقناعنا في دائرة الحرب ومبادئه، فإذا استطا ع أن يكون أغلبية، فإن الحزب كله سيتبع سياسته، أما مجرد التشنيع، ومحاولة إزالة الثقة من نفوس أنصار الحزب، فتلك خيانة عظمى.

وأما إذا كان يريد الأخ بالسلم، أننا جامدون، وأننا لا نعمل على بث روح ثورية، أعني ثورة الفكر والأسلوب، فهذا منه تقوّل، أو تجاهل للواقع، ولو عاش الأجيال التي عشناها، لرأى حقيقة الذهنية التي ورثناها عن آبائنا، ولعرف اليوم أننا لا نطالب فقط بثورة، بل إننا أحدثنا هذه الثورة إلى حد بعيد، وأن ما يجده هو نفسه من قلق لمصير المغرب، ومن استعجال لتحسين حاله، ليس إلا نتيجة للتمرد على الواقع الذي أحدثته الحركة التي انبثقت من يدنا أنوارها، لكنني لا أدّعي أنّ الحركة قد وصلت للمدى الذي نريده لها، فهي مازالت تحتاج إلى مجهودات جبارة، وقوية، وهذه المجهودات، كان من الواجب أن يتظافر هو وأمثاله ممن يشعرون بها على أدائها وبذلها في داخل الحركة الشعبية الكبيرة، لا أن يعملوا على إحداث الفوارق في وسط جبهتنا القوية، وذلك بالانصات إلى منتقدين أجانب، كل همهم هو أن يفقد المغاربة ثقتهم في المستقبل، إلا إذا كان عن طريق يد أجنبية، ثم إن الثورة حتى على الشكل الماركسي

الذي هو عزيز على صديقنا، لا تتم بغير المراحل التي ذكرها ماركس نفسه، ومحاولة القيام بها اعتباطا، ومن غير استعداد عقلي، وذهني، واجتماعي، واقتصادي، في مجتمع ما، يؤدي لا محالة إلى فشلها. وإني لأذكر للأخ على جهة المثال، أن الثورة الروسية لم تنجح إلا بعد المراحل التي قطعها الثوريون من قبل دستويفسكي وبعده، وأذكر له ولكم، فشل ثورة العموم (La commune) في فرنسا، فقد قبل الفرنسيون مبدأ الاشتراكية الماركسية، ولكنهم لم يستطيعوا التطبيق، ثم إن أخانا يخطئ كثيرا حينما ينسى العامل التدريبي في القضية، فالعملة لا يمكن أن ينجحوا في ثورتهم، إلا إذا كانوا قادرين على إدارة الدولة، وإدارة المعامل، وإلا فستنعكس القضية عليهم، انعكاسا كليا. وإني لأذكر للأخ قضية الثورة الشيوعية الإيطالية التي وقعت بعد حرب 1914 - 1918، وقد ثار العملة، واحتلوا المعامل كلها، ولكنهم لم يستطيعوا إدارة تلك المعامل، ولا عرفوا كيف يبدءون الشغل، فضلا عن تأمر الدولة من حيث هي. فماذا كانت النتيجة ؟ لقد كانت أشد على إيطاليا، وعلى الحرية، إذ سمحت لموسوليني أن ينتصر بمجموعة قليلة من المثقفين، ويسيطر على إيطاليا 20 عاما كاملة.

إذن فالقوة على التنظيم والتدريب على العمل، هو الذي ييسر الانتصار أكثر مما تيسره النظريات، ولولا كفاءة القائمين على الحكم في روسيا، وإخلاصهم ونشاطهم، لما كان للشيوعية فوز حتى في داخل الاتحاد السوفياتي.

إن الأخ يتجنى على حزب الاستقلال، حينما يزغم أننا لا نربي روح **التضحية** في النفوس، إنه ينسى أو يتناسى عشرات

الآلاف من أنصارنا الذين سجنوا، ونفوا، وعذبوا، وماتوا، وحكم عليهم بالإعدام، في سبيل القضية التي نومن بها، وأنا الذي أكتب هذه السطور، لقد قضيت عشرة أعوام في ظرف 14 عاما في السجون والمنافي. لقد سجنت ست مرات، وأقمت في المنفى في افريقيا الاستوائية 9 أعوام تحطمت معها كل صحتي وسلامتي، وها أنذا أكاد أعيش محاصرا في طنجة من غير جواز.

وإن الأخ الأمين العام الحاج أحمد بلافريج قد نفي مرتين، وأصيب بسبب مقامه غريبا عن بلاده بالسل، الذي مايزال يفتك بجسمه إلى الآن، زيادة على تضحيته بجميع ما ورثه من أقاربه، في سبيل تأسيس أول مدرسة نموذجية لإخراج الشبيبة المغربية.

وإن الأخ الحاج عمر قد سجن مرتين، ولاقى من أنواع الاضطهاد والشر، الكثير، زيادة على تضحيته بجميع ما كان ينتظره من مستقبل مادي، كشاب مثقف، ومن عائلة موظفين مخزنيين.

وإن الأخ محمد اليزيدي قد اعتقل ثلاث مرات سجنا ونفيا، قاسى معها ما قاسيناه نحن أيضا وخرج من وظيفته من أجل تلبية نداء الحركة في أول يوم.

وأن الفقيه الغازي، كان من أول من اعتقل بفاس، منذ 25 سنة ثم سجن بعد ذلك واضطهد الاضطهاد الكلي.

والسيد عبد العزيز بن إدريس سجن مرارا وتكرارا، وجلد ونفي، والأخ الهاشمي الفيلالي، والأخ أحمد مكوار، والأخ

إبراهيم الكتاني، والأخ رشيد الدرقاوي، ماذا وقع لهم ؟ عذبوا بالكهرباء، وجلدوا، وضربوا، وأنيموا على الثرى، وسجنوا ونفوا مرات لا حساب لها، وكذلك الأخ بوشتى الجامعي، ومحمد الفاسي، ومحمد الزغاري، ومحمد الغزاوي، ومحمد ابن شقرون، وأحمد بن شقرون، وعبد الله إبراهيم، وعبد الحميد بن مولاي أحمد، وغيرهم من العاملين البارزين اليوم في الحزب، ممن تعرفهم أنت ويعرفهم كل الإخوان.

أما الذين استشهدوا في سبيل القضية، ففوق العدّ، وهل أذكر منهم على سبيل المثال، 16 الذين قتلوا في مظاهرات مكناس عام 1937 ؟ أم العشرات الذين قتلوا في مظاهرات عام 44 بالرباط وسلا وفاس ؟ إن مقبرة الشهداء لتشهد بذلك، وهل يجد الإخوان أصدق من إعطاء الشاب ابن عبود، أخي الدكتور المهدي ابن عبود نفسه، من أجل فداء آخرين متهمين ؟ إن مظاهر التضحية التي قام بها الآخرون في العالم، كلها قام بها إخواننا من أجل بلادهم، وإنما الذي ينقصنا هو الإيمان بأنفسنا، وتقدير أعمال مواطنينا.

إنه مايزال لحد الآن في القنيطرة 20 شخصا، حكم عليهم بالإعدام، من طرف الفرنسيين في مظاهرات 44، بعضهم بتهمة ذبحهم في وسط القرويين لجاسوس معروف، وبعضهم بتهمة تعذيب المعمري، وآخرون بتهمة قتل شرطيين.

ومايزال مئات الإخوان الذين حكم عليهم في الدار البيضاء، بالسجن، أو الأشغال الشاقة، من أجل حوادث خريبقة

وجرادة، إنهم عمال من الشعب، لم يحملهم إلا إيمانهم بمبادئنا على التضحية. ويجب أن يعرف الأخ، أن القادة الشيوعيين في خريبقة من الفرنسيين، كانوا يتجسسون على العمال المغاربة لانتمائهم لحزبنا، وأن الحزب الشيوعي المغربي، مسؤول عن كثير من القضايا التي أصيب فيها أنصارنا بسوء، دون أن أنكر دفاع بعض المحامين الشيوعيين في المحاكمات الرسمية.

يتكلم الأخ عن ضرورة العدول **عن مركزية** الأعمال، وأنا لا أستطيع أن أدخل معه في توضيح الجواب، لأن نقده مبهم، نعم قبل كل شيء يجب أن يعرف الأخ، أنه لا يوجد حزب في الدنيا لا يقوم على الطاعة، وخصوصا إذا كان حزبا ثوريا يريد البناء أكثر من الكلام، اما أن يترك لكل واحد أن يعمل وفق إرادته، فهذا معناه الفوضى، ان أهم شيء في الحركات، هو محاولة توحيد الاتجاه، والوسائل، في الأنصار، وإلا فستصبح تجمعا شبيها بالتجمع الفرنسي، الذي يريده دوكول، لا تراعى فيه إلا الشكليات، والأشخاص، ليقل لي صديقك : هل ان الحزب الشيوعي لا يشترط الطاعة على أنصاره ؟ ليقل لي : هل الحزب الشيوعي، لا يطلب منهم أن يعملوا طبقا لمقررات اللجنة التنفيذية للحزب ؟ ما هي الحرية التي يتمتع بها الشيوعي إزاء الحرية التي يتمتع بها نصير حزب الاستقلال ؟ ومع هذا فإن حرية الابتكار في دائرة مبادئنا، مسموح بها لكل أحد، إنما لا يمكن لكل فرد أن يعمل باسم الحزب، لأن هناك مسئوليات، يجب أن يتحملها من هم في مركز المسؤولية في المركز العام، أو في الفروع، أو في ثُغر العمل الوطني، إننا في حركة وكفاح

ولابد من سُلّم للعمل، فيه الرئيس والمرؤوس، الحقيقة أيها الأخ أن الفردية المغربية هي التي تتكلم في نفوس إخواننا الذين لم يتعوّدوا الطاعة لجماعة ما، إن عملهم في أية دائرة، سيواجه نفس هذه الحقيقة، وأعتقد أن الذين يسلطونهم على انتقاد حزبنا مثلا، يعرفون نفسية المغاربة، فهم يرضون فيهم حاسّة التمرد علينا، عوضا عن أن يتمردوا على الأجانب المستبدين علينا في الإدارة، وفي الأحزاب الأجنبية.

يطالب الأخ بعدم استعمال الحزب **للديموقراطية**، كمجرد ظاهرة وراءها تحكم كبير، وهذه نصيحة لا غبار عليها، فنحن ديمقراطيون، ونحب أن تكون ديمقراطيتنا عميقة، حتى يتسنى لنا أن نستغل أطيب العناصر الشعبية في بلادنا، وأنا أعتقد أنه لا يوجد في العالم العربي كله، حزب ديموقراطي بالمعنى التام للكلمة، مثل حزبنا، فحزبنا وحده الذي ليس لزعمائه رتبة، أكثر من رتبة المسير الرفيق لجميع إخوانه، وحزبنا الذي يفسح المجال لكل العاملين، بشرط أن يكونوا مخلصين لمبادئ الحزب، ولا يريدون اتخاذه كقنطرة، للاستيلاء على الجماهير المغربية، وتوجيهها الوجهة التي لا تتفق مع مصالح المغرب، وهل أدل على هذا من أنه بجانب المؤسسين الأولين، يقيم الآن في مقاعد اللجنة التنفيذية، والمجلس الأعلى، أو مكاتب الفروع، شبان هم أصغر منا سنا، وأحدث عهدا بالكفاح ؟ وإنه لم يتم لحد الآن شاب دراسته العليا، ويبدأ نشاطه الوطني إلا ويهيئ له الحزب مركزه الممتاز، هل أذكر في مقدمة هؤلاء، إخواني عبد الله إبراهيم، وعبد الكريم ابن جلون، والمهدي ابن بركة، وعبد الرحيم وعبيد،

والعابد العمراني، وابن سالم جسوس، وعبد الرحمن زنيبر، وابن المختار، وأولاد العباس الثلاثة، وغيرهم وغيرهم...

إن المجلس الأعلى لحزب الاستقلال، يشتمل على زهاء 20 لجنة فنية، كلها تشتغل بانتظام، وتعطي توصياتها للجنة التنفيذية، وأن المجلس الأعلى، لمجتمع دائما كلما دعته الأمانة العامة، أو طلب أعضاؤه الاجتماع، ومؤتمرات الكتاب، كتاب الفروع، تجتمع كل شهر للتشاور والتدبير، والمؤتمرات الجهوية تنعقد دائما، والجهات المغربية، تمثل أسبوعيا لمشاركة اللجنة التنفيذية في القيام بالمسائل الجارية. كل هذا يقع مع العلم بأن اجتماع 4 أفراد، هو عصيان لقوانين الحماية وتمرد عليها.

أما السكوت، فليس واقعاً، وإنما الرقابة الفرنسية هي التي تحول بيننا وبين نشر كل شيء، ومع ذلك فنحن نصدر سريات، ونفضح عورات المستعمر في كل مكان، ليتصور الأخ لو كان عندنا في المغرب، ما بتونس، من الحريات العامة، فكانت البلاغات تصدر يوميا بحياة الحزب، عن عمل كل لجنة من اللجان، وهيئة من الهيئات، في الداخل والخارج، ماذا كان الصدى ؟ والمؤسف له أن ما ينشر بالعربية، لا يقرأه كما تبين لي ذلك من كثير من إخواننا بفرنسا لجهلهم للغة العربية.

أما ما هو واقع بباريز، فهو ناتج عن حالة استثنائية، أدى إليها خروج بعض الأفراد عن مبادئ الحركة، ولو أن الأخ وأصدقاءه، نفذوا أوامر الحزب أولا، ليظهروا طاعتهم المبدئية، ثم كتبوا لي، أو للأمين العام، بوجهة نظرهم، لما كان هناك مانع من عرض

أفكارهم على اللجنة السياسية للمجلس الأعلى، التي أوصت بذلك العمل الاستثنائي، لتعيد النظر فيه، إن هذه حوادث تقع في جميع الأوساط السياسية، ولكنها لا ينبغي أن تحمل العاملين على التنكر لمبادئهم، من أجل تنظيمات شكلية، أو تأويلات لقوانين الحزب الأساسية، إن للحزب لجنة تنفيذية، وله مجلس أعلى، يمكن من أراد أن يرفع إليهما وجهة نظره بكامل الحرية، ولكني لا يعجبُني أن ينال الأخ من أصدقائه القائمين بالأمر اليوم في باريز، لمجرد أنهم نفذوا إرادة الحزب، فذلك ما يدل على روح غير طيبة.

أما أن يطلب الأخ منا إعادة النظر في مذهبنا، ويريد أن يفرض علينا صوغه من جديد على النظرية الماركسية، فهذا غريب جدا، إنه كمن يقول لمسيحي يجب أن تغير رأيك، إذا رمت الإصلاح إلى رأي مسلم، على أن الأخ لا يبين الماركسية التي يدعو إليها، مع أن الماركسية تعددت أنواعها حتى أصبحت متناقضة.

2 ـ النقطة الثانية في رسالة الأخ تتعلق بالوسائل :

إني لا أجد في الوسائل التي يقترحها الأخ، شيئا جديدا بالنسبة للمغرب، فقضيتنا وقعت فيها الثورات المسلحة من كل جهة، ولكن تظافر الأجانب الأقوياء علينا، هو الذي حال بيننا وبين الانتصار، وإن روسيا ساعدتها ظروف المعاونة الألمانية من جهة، وظروف الانشغال الأوربي، والحياد الامريكي، حتى أمكنها إنجاز ثورتها الداخلية، ولماذا لم تنجح اليونان مثلا نفس النجاح؟ أليس لأن الأجانب تمالئوا عليها ؟ ذلك ما وقع للمغرب أيضا. وها هي ذي الهند الصينية، يرغم المعاونة الجابونية تقف

امريكا، وانكلترا، والدول الاستعمارية، في وجهتها، فتستعمل باوداي، لتكوين حرب داخلية، يصبح معها مصير هوشي مان، مشكوكا فيه، يجب على الأخ ألا ينسى الحاضر، إزاء النجاح التاريخي، وليس معنى هذا، أنني أنسى قيمة العمل الذي يقوم به هوشي مان، فهذا شيء لا يتصور، وإنما أريد أن أذكر بقيمة العون الذي حصل ضده، من أجل القضاء على الشيوعية في الهند الصينية.

وأريد أن لا يفوتني تذكير الأخ، بالنجاح الذي حصلت عليه أندونيسيا، والباكستان، والهند، بوسائل غير الوسائل الماركسية، ومعنى هذا **أن النجاح معلق بالعمل، والإخلاص، لا بالعقيدة نفسها، فكل العقائد تنجح**، إذا كان أصحابها مخلصين، ومواظبين، وكان لهم من الظروف ما يساعدهم. إذن ليس من أي مانع أن ننجح نحن بأفكارنا الوطنية، غير الشيوعية، إذا واظبنا على العمل الجدي لفائدة بلادنا، و لم يحملنا الملل على الاستعجال، إن في العالم تجارب، يجب أن نستفيد منها كثيرا، ولكن يجب أن نعمل ما نراه صالحا لنا.

أما مسألة مقاومة الأمية، فقد كان الحزب الوطني، قام بقسط منها في المغرب سنة 1936 وإلى ذلك يرجع فضل الفكرة الوطنية المنتشرة في الأطلس، فقد كنا نجلب التلاميذ من نفس المدارس التي أنشأتها الحكومة في الأطلس، ونعلمهم العربية والفكرة الوطنية.

وفي هذا الأسبوع اجتمع مؤتمر كتاب الفروع بالرباط، وقرّر منهجا جديدا لمقاومة الأمية في جميع المغرب، وستبتدئ هذه

الحملة في رمضان، وهكذا عوضا عن أن يرى الأخ في هذه الفكرة، معارضة للحزب، ينبغي أن يوطد نفسه على إنجازها.

أما مسألة **العملة**، فمن العبث اتهامنا بإغفالها، فإن الحركة الوطنية شغلت وقتها بالعملة، والصناع، أكثر مما شغلته بقضية أخرى، ولكن يجب أن لا ينسى هنا المذهب الماركسي، فالنظام الاقتصادي في البلاد، لم يبتدئ بالتطور نحو التصنيع، إلا في الأيام الأخيرة، فمجهودنا في العملة، كان مجهودا وطنيا صرفا، وهو يعلم أن المجهود النافع، إنما ينجح في الذين هم تحت سقف واحد.

أما **الفلاحون** فليطمئن أخونا، فإنهم أنصارنا ومعنا، وإن الأخ عبد العزيز، ليتجول برغم الإدارة في الأطلس كله، فلا يجد إلا الاستقبال الحار من الطبقات الزارعة، ولعله يسمع كل يوم خبر الاعتقالات التي تقع للفلاحين، والمظالم التي يرمون بها، وإن اهتمامنا بهم، لا يقل عن اهتمامنا بسكان المدن، رغم السدود الحديدية التي ينصبها المستعمر.

أما العملة فكلهم اليوم في الاتحاد المغربي، للنقابات المجتمعة، وقد أثبت حزب الاستقلال يوم فاتح ماي، أنهم جميعا في الحزب، وأن الحزب هو الذي نظمهم وجمعهم في هذا الاتحاد، ولكن يجب على الأخ، أن يفكر دائما في أننا سنقاوم منع الفرنسيين للعملة من التجمع الحر، ضمن نقابة مغربية، وإننا سنقاوم جهد المستطاع س.ج.ت الفرنسية، لأننا لا نريد أن نكون جزءا من هيئة فرنسية مهما كانت.

وإني لأتعجب من الأخ، حين يسأل : لماذا لا يقوم الحزب بما قام به الغير ؟ هل أن ذلك عدم اطلاع، أو تجاهل مقصود ؟ إنّ الحزب غير مقصر في ناحية من النواحي ويمكن لمن يريد أن يبحث ويشارك في العمل.

أما سؤال الأخ هل أن الحزب يضحي بالتحرير القومي، من أجل **الإسلام**، وأن العصر عصر علم الخ... فهذا غريب أيضا، أولا، لأن الإسلام هو الذي يبعث في نفوسنا حب الحرية، وان المغرب لم يعرف في تاريخه استقلالاً قوميا كاملا، أو تحرراً تاماً، إلا بعد أن اعتنق الإسلام، وهل أنا بحاجة إلى أن أدلي بشهادات المبشرين النصارى، الذين يقولون إن الأسود الذي يعتقد نفسه عبداً، بمجرد ما يعتنق الديانة الإسلامية، يصبح معتقداً إنه حر مُساوٍ لجميع الناس، إن الإسلام نفسه ثورة اجتماعية كبيرة، رفعت من قدر الإنسان، وفتحت له سائر آفاق التحرر، وهذا موضوع، أنا مستعد لأن أكتب فيه الصفحات، آلاف الصفحات دون أن ينفذ.

وأما فضل الإسلام على العلم، واعترافه بقيمته، فشيء غير خفي على أحد، وليس العلم وتقديره، شيئا جديدا إلا بالنسبة للذين كانوا يعيشون في ظل الكنيسة، التي تعتقد أن هناك خطأ ما بين العلم والدين، أما نحن فتبينا عليه السلام يقول : (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) وهو الذي يقول : (لا رهبانية في الإسلام)، ولكن المصيبة أن شبابنا جاهل بتعاليم الإسلام الصحيحة، وجاهل بالعربية التي تمكنه من أن يدرسها،

وتلك أمية عقلية، ما أحوج الأخ إلى أن يدعوا إلى مقاومتها، لأنها أشد من مقاومة الأمية الحرفية.

وهنا أصل إلى سؤال الأخ، هل أن الحزب مع **الماركسية**، أو ضدها ؟ ولكني أريد من الأخ أن يُحدّدَ أيّ الماركسيات يريد، إنهم ينقلون عن ماركس نفسه أنه قال : (أنا لست بماركسي)، انظر صفحة 534 من تاريخ العقائد الاتصادية لشارل جيد، وشارل ريست، ومن المعلوم أن كل الاشتراكيين واليساريين، يطالبون بنظرية ماركس، ولكن هناك فرق بين ماركسية الاشتراكية العلمية، وبين الماركسية الجديدة، وبين الماركسية الجديدة الإصلاحية، وبين الماركسية الجديدة النقابية، وبين الشيوعية، وبين التروتسكية، وبين الستالينية، إلى آخر المذاهب التي تفرعت كلها عن ماركس ومدرسته، أنه أصبح اليوم من المستحيل تحديد النظرية الماركسية الحقيقية، إلا في بعض النقط الجزئية، ومع ذلك فأنا مستعد لإجابة الأخ عما يود معرفته من رأيي الخاص في هذا الموضوع ومن موقف الحزب.

وبعد هذا كله فإني أحث الأخ، على الرجوع للنظام العام، وله الحق في أن يهيئ نفسه للعمل في المغرب، ويدافع عن آرائه، بشرط أن ينظر في القضايا من جميع الجهات، وأن لا يخضع للقدرية التي يضعه فيها دعاة شيوعيون، لا يرمون إلا لعمل واحد، هو تفريق كلمة المغاربة.

إن الشيوعيين الفرنسيين في المغرب، غير مخلصين لمبادئهم، وأن كل ما يعملون له، هو نزع المغاربة من عقائدهم،

ومذاهبهم، الصالحة، إنهم يطالبون بدخول المغرب في الوحدة الفرنسية، ويطالبون بتوحيد المصالح وتنسيقها في يد الفرنسيين، ويقاومون مقدساتنا، ولا يعملون شيئا لصالح المغرب، وكل دعوتهم هو هدم المغاربة، وكيانهم، وعقائدهم، وحبهم لوطنهم، إن في روسيا وفرنسا، مخلصين لمذهبهم، أما الشيوعيون الفرنسيون في المغرب، فليسوا أقل من الآخرين مقاومة للاستقلال المغربي، وعملا على هدم صرح التحرير القومي، الذي نجاهد من أجل بنائه، فجيب علينا أن لا نغتر، ويجب أن نكون مخلصين لأنفسنا، فنحن لا نستطيع أن نكون عالميين، قبل أن نكون وطنيين، ونحن لا يمكننا أن نتحرر وننجز أعمالنا، بغير الاستقلال، لنوحد الصفوف، ولنقطع النظر عن الاعتبارات الشخصية، ولنعرف أن وراءنا طرقا صعبة، لا يمكن أن نجتازها إلا في قافلة متناسقة، منظمة مؤيدة بالشعب كله، وأن هذه القافلة لن تكون إلا في دائرة حزب الاستقلال، وأن الذين تحدثهم نفسهم بغير هذا، لن يكونوا من رفقاء الطريق.

وختاما أرجو، أن تتقبل أنت وجميع أصدقائك، وخصوصا صاحب الرسالة أطيب عواطفي، وحبي واحترامي.

علال الفاسي

رأيت من المفيد أن أضيف رسالة الزعيم إلى الطالب المذكور نظرا لأهميتها التاريخية. وللمعلومات التي فيها حيث لم يسبق نشرها، ولذلك ألحقتها برسائلي وجعلتها من الملحقات.

فهرس الكتاب